تَمَظْهَرَاتُ بَلَاغَةِ المَقْمُوْعِيْنَ فِي شِعْرِ المتنبّي

الكَافُوْرِيَّاتُ إِنْمُوْذَجًا

م.د. محمد ياسر فراك الغرابي

جامعة الشطرة / كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

mhmd.yasir@shu.edu.iq

. الملخص:

ركّز البحث على بلاغةٍ، هي (بلاغة المقموعين)، احتفى المتنبّي بها واستغلها في شعره كثيرًا، كونه كان شاعرًا مقموعًا، وإن تقلّب في بلاطات السّلاطين وأروقتهم، فقد كان مقموعًا مفجوعًا في الكوفة، وفي بغداد أيام صباه، وفي الشّام أيام ثورته وحبسه، وحتى في حلب عند سيف الدّولة، الذي كان في بحبوحة من رغد العيش في ظلّه، إلّا أنّه ضُرِب وأُهِين بحضرة ممدوحه ومحبوبه دون أن ينبس ببنت شفة، وكذلك كان مغلوبًا عليه في مصر ومراقبًا من قبل عيون كافور وجواسيسه.

فهو لم يمتلك الحرية الكافية ليقول ما عنده، حتّى قيل إنّه لما أنشد قصيدته في بلاط سيف الدّولة (وا حر قلباه ...) معاتبًا محبوبه احتوشته حاشية الأمير الحمداني وكادوا أن يفتكوا به لولا أن خلّص نفسه منهم بإعجوبة وغيّب نفسه عند صديق له، بعدها اعتذر منه ورحل عنه بحيلة دبّرها.

ثم ما جُوبه به من مؤامرات نقديّة مفتعلة، ومعارك أدبيّة زائفة من قبل أتباع الأمراء والوزراء الذين لم يمدحهم، أمثال: ابن خنزابة والمهلبي والصّاحب بن عبّاد وغيرهم، ما يجعله عندنا مقموعًا بامتياز، والبحث بعد ذلك اشتغل على ما أضمره في شعره من سخطه وهزئه وازدرائه بمن حوله من ناس وحواشٍ وسلاطين، كانوا أقل من همّته بكثير، فهو غريب بينهم (كصالح في ثمود) على حد تعبيره، ولا سيما ما قاله في كافور، مادة البحث.

الكلمات المفتاحية:(المتنبّي، مديح المتنبّي لكافور، بلاغة المقموعين).

Manifestations of the Eloquence of the Oppressed in Al-Mutanabbi's Poetry

The Kafouriyat as a Model

Dr. Muhammad Yasser Farak Al-Gharabi

Shatrah University / College of Education for Girls / Department of Arabic Language

Abstract:

This research paper focuses on the “rhetoric of the oppressed” which Al-Mutanabbi used a lot in his poetry. He was an oppressed poet although he frequented the courts and royal places of sultans. He was grievously oppressed in Kufah and Baghdad during his youth and in the Levant during the time of his revolutions and imprisonments. Even in Aleppo, during the time of Saif-al-Dawlah when he was doing well, he was beaten and humiliated before the leader he praised. He was also oppressed in Egypt while he was under the surveillance of Kafur and his spies.

Al-Mutanabbi did not have freedom to express himself. Even when he recited his poem “Oh My Heart” to blame the man he cherished, the people surrounding Saif-al-Dawlah were about to kill him and he hardly escaped. He had to hide at a friend’s place and then he managed to run away.

Then he was faced with a number of staged critical conspiracies and unnecessary literary arguments with the followers of princes and ministers who were not praised by him such as Ibn-Khinrabah, Al-Muhallabi, Al-Sahib Bin-Abbad and others. This made him feel a typical example of an oppressed poet. The paper then examines the bitterness, ridicule, and disdain he articulated for those who were surrounding him. They were way inferior to

him and he was like Prophet “Salih in Thamud” as he said, especially in his poetry against Kafur, the focal point in the research.

Keywords: (Al-Mutanabbi, Al-Mutanabbi’s praise of Kafur, the eloquence of the oppressed).

. المقدمة:

الحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هُوَ بالعزّ مذكور، وبالفخر مشهور، وعلى السّراء والضّراء مشكور، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطّيبين الطّاهرين.

أمّا بعد ...

فالمتنبّي ليس كغيره من الشّعراء، وليس شعره كبقية الأشعار، لا غلو، أو مبالغة في ذلك، وما لقيه هو وشعره، ينبآن بهذا الشّيء، ويدلّان عليه، فلم يحظَ غيره ولا غير شعره شعرٌ بهذا القدر من الحفاوة والدّراسة والتّتبّع، حتى ناهزت المؤلفات والشّروح والدّراسات، التي دارت حوله وشعره، الألف وهي في ازدياد.

وبحثنا هذا واحد من تلك الدّراسات التي تناولت بعض شعر المتنبّي ونعني به الشّعر الذي خصَّه بمدح كافور والمسمّى بـ(الكافوريات)، وهي تنطلق من شخصه ثم تتّجه إلى شعره الذي نراه مرآةً له وصورة معبّرةً عنه وعمّا يدور حوله. تجاه هذا الرّجل.

وقد تشكّل بحثنا (تمظهرات بلاغة المقموعين في شعر المتنبّي . الكافوريات إنموذجًا) من وقفة بين يدي البحث، وتمهيد تحدّثنا فيه عن ثقافة المتنبّي ومعرفته اللغوية، ثم دلفنا إلى متن البحث متحدّثين عن تمظهرات بلاغة المقموعين في شعره، ورأينا أنّها تقسم على ثلاثة نقاط أجملنا فيها أغلب فنونه الشّعرية التي تداخلت في بعضها البعض، وهذه النقاط هي: ١. التّعريض، وفيه تحدثنا عن: التّعريض بالصّفات الخَلْقِيّة، والتّعريض بالصّفات الخُلُقِيّة، ثم ٢. التّورية، بعد ذلك ٣. التّلاعب باللغة ونحوها. ثم ختمنا البحث بخاتمة أجملنا فيها أهم نتائج البحث، أعقبتها قائمة بمصادر البحث ومراجعه.

وحرص البحث على أن يكون قراءة ثانية لشعر المتنبّي قراءة تكون مغايرة بتناولها ما كان مطروحًا على ساحة البحث، وقد تنوّر البحث بما ما جاء من آراء وأفكار العلماء والباحثين السّابقين الذين تناول المتنبّي بالبحث والتّنقير.

وآخر دعوانا: إن الحمد لله رب العالمين والصّلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

. بين يدي البحث:

لم يَكنْ المتنبّي مُبالغًا حيثُ قال[١]:

أَنَامُ مِلْءَ جُفُوْنِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

فقد سهر الخلق منذ ألفِ سنةٍ ومائةِ عامٍ يقلبون في دفاتر المتنبّي ويقرأون أشعاره وهي بعد تمنحهم ما يريدون وما يطيب لهم من ملذات القول والخيال، فلم تُرْمَ أشعارَه بالبخل كما رمي هو به[٢]، إلّا أنّها كانت على سخائها عصيّة على الفهم في الأعم الأغلب، بقصديّة محكمة أرادها لها المتنبّي[٣].

وإن كان ينبغي للعلاقة بين النّص والقارئ أن تكون متكافئةً، فإنّ صاحب النّص سلب وقار القارئ وأسره وجعله يدور في فلكه لمّا أشاعَ في نصّه تارة أنّ مديحه ليس بمديح في قوله[٤]:

وَشِعْرٍ مَدَحْتُ بِهِ الْكَرْكَدَنْ (م) نَ بَيْنَ القَرِيْضِ وَبَيْنَ الرُّقَى

فَمَا كَانَ ذَلِكَ مَدْحًا لَــهُ وَلَكِنَّهُ كَانَ هَجْــوَ الْوَرَى

وفي قوله[٥]:

وَلَوْلَا فُضُوْلُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًا بِمَا كُنْتُ فِيْ سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيَا

فَأَصْبِحْتَ مَسْرُوْرًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ وَإِنْ كَانَ بِالإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيَا

أو في رواية ابن جني، التي تقول: (وهذه طريقته في أكثر شعره، حتى إنّه قال: (لو أردتُ أن أقلِبَ جميع ما مدحته به إلى الهجاء لوجدتُ إلى ذلك سبيلًا، ولولا خشيتي من طول هذا لذكرتُ كل ما يُعرضُ من هذا النحو، ولكني أذكر بعضه لتستدلّ به على سائره))[٦]. وحسبك من هذا القول تفويضًا من الشاعر للنّاظرين في شعره المدحي بصورة عامّة والذي قيل في العجم بصورة خاصّة والذي قيل في كافور بوجه أخص أن يحذوا حذوه، وكذلك تقويضًا لحرية النّقاد في ما جرّهم إليه المتنبّي من حيث يشعرون أو لا يشعرون. وهذا ما جرّ غير ناقدٍ لشعره ومفسرٍ وشارحٍ وعلى رأسهم ابن جني ثم أبي العلاء المعري، وليس آخرًا بحسام زاده الرّومي.

. التمهيد: ثقافة المتنبّي ومعرفته اللغوية.

لا يختلف اثنان في أنّ ثقافة المتنبّي ومصادرها الخاصّة لها الأثر الكبير في ما كانت عليه شخصيّة المتنبّي المعرفيّة والأدبيّة، ولكن كيف لنا التّعرّف إليها؟ وما الذي درسه ليكون المتنبّي الذي انتج لنا شعرًا عصيًّا على متغيرات الزّمن وعواديه؟، نحن لا نشكّ أنّها تربية خاصّة في مدارس العلويين المغلقة على أبنائهم حصرًا دون غيرهم والتي

دخلها عن طريق جدته العلويّة[٧]، تلك المدارس التي لفّاها؛ الغموض والخصوصية، ولفّا العاملين فيها والمناهج التي تُدرِّسها، ترى ماذا كان يتعلّم المتنبّي وأقرانه من العلويين في تلك المدارس علاوة على المناهج التّعليمية الرّائجة في غيرها من المدارس العامّة والخاصّة؟. لا يتيسّر لأحد منّا الإجابة القطعيّة عن كلّ ما سألنا عنه، فهل لنا أن نتلمّس معالمها في شعره؟

للجواب عن هذا السّؤال لا بدّ من التّمتّع بالفراسة وسبر أغوار شعره إلى أبعد أعماقها، نحن لا نستهدف أسلوب حياته وعلو همّته وتكتّمه في نسبه في الإجابة عن سؤالنا هذا، وإنما نتأمل أسلوبه الشّعري الذي حظى بكبير من التّعقيد المتقصّد والغموض الذي لازم أشعاره كما لازمه هو نفسه، والمرامي البعيدة التي كان يشير إليها في شعره، فهل كان ينطلق من منظومة مغايرة في تعلُّم ما هو مسكوتٌ عنه أو منظومة معارضة كانت تسير باطّراد مع المنظومة الرّسمية ولكنّها تسير في الظّل؟.

وللإجابة عن هذا السؤال نسأل أنفسنا السّؤال التّالي، هل اطّلع المتنبّي على كتاب (الملاحن) لابن دريد الأزدي، وما شابه هذا الكتاب وهذه الثقافة؟.

نحن لا ننتظر الجواب من المتنبّي نفسه البتّة[٨]، فلا يُعقل من المتنبّي أن يكشف لنا ظهره، ويعطي سلاحه بيد المتربصين به وبشعره، إذن من يجيبنا على ذلك كلّه؟، وليس أمامنا غير شعره نستدرجه ليُفصح لنا عمّا اضمره المتنبّي ولم يُفصح عنه.

يقول حسام زاده الرّومي في تعقيبه على قول المتنبّي[٩]:

جرَى الخُلْفُ إِلَّا فِيْكَ أَنَّكَ وَاْحِدٌ وَأَنّـكَ لَيْثٌ وَالمُلُـوْكُ ذِئَابُ

وَأَنَّكَ إِنْ قُوْبِسْتَ صَحَّفَ قَارِئٌ ذِئَـابًا وَلَمْ يُخْطِئْ فَقَالَ: ذُبَابُ

(لقد أبدع في هذا التّصحيف وفاز بالقدح المعلى من مقاصده الأعلى. وذلك أنه يريد به التّلميح إلى قصة الليث مع الذّباب على ما يحكى أن الليث هو العنكبوت الأسود العظيم الجثّة له صنعة دقيقة في صيد الذّباب. ...)[١٠]. وهذا ما تحققنا منه فوجدنا أن الليث اسم من أسماء العنكبوت[١١].

قال ابن دريد في مقدمة كتابه: (هذا كتاب ألّفناه ليفزع إليه المُجْبرُ المضطهدُ على اليمين المكره عليها فيُعارض[١٢] بما رسمناه، ويضمر خلاف ما يظهر ليسلم من عادية الظّالم ويتخلّص من حيف الغاشم وسميناه (كتاب الملاحن) واشتققنا له هذا الاسم من اللغة العربيّة الفصيحة التي لا يشوبها كدر، ولا يستولي عليها التّكلف وما توفيقنا إلّا بالله عز وجل)[١٣].

وفي ذلك قال ابن وهب الكاتب: (ومن هذه الأسماء المشتركة، المجنون: الذي به الخَبَل، والمجنون: الذي قد جنَّه الليل. والنّبيذ: الذي يُشرب، والنّبيذ: الصبي المنبوذ. والعلي: المرتفع، والعلي: الفرس الشّديد.... وأشباه هذا كثير، وقد جمعه أهل اللغة. وممن جوّزه، وجمع أكثره ابن دريد في كتاب (الملاحن). فإن أردته فاطلبه منه . إن شاء الله تعالى)[١٤].

فهل ترى المتنبّي بعيدًا عنهما وهما مجايلاه[١٥] ومن أعلام الشّيعة في زمانهما وهو يتتلمذ في مدارس العلويين؟. من هنا نمسك بالخيط الذي يجعلنا نتتبّع أصوله منذ البداية، إذا ما علمنا النَّفْس الكبيرة التي انطوى عليها شاعرنا، فقد (كان الرّجلُ مطويًا على سرٍّ أُلقِيَ الغموضُ فيه من أول تاريخه، (يعني علويّة المتنبّي)، وهو سر نفسه، وسر شعره، وسر قوته، وبهذا السّر كان المتنبّي كالملك المغصوب، الذي يرى التّاج والسّيف ينتظران رأسه جميعًا، فهو يتّقي السّيف بالحذر والتّلفُّفِ والغموضِ، ويطلب التّاج بالكتمان والحيلة والأمل)[١٦].

يسعفنا أبو القاسم الأصفهاني بقوله: (جملة القول في المتنبّي أنَّه من حُفَّاظ اللغة ورواة الشّعر، وكلّ ما في كلامه من الغريب مستقاة من الغريب المصنّف [لأبي عبيد القاسم بن سلّام] سوى حرف واحد هو في كتاب الجمهرة ...)[١٧].

فماذا نفيد من هذا القول؟ نفيد منه أن المتنبّي كان كثير المطالعة في كتب اللغة يفتش عن كلّ كلمة شاردة ونادرة وغريبة، ويكفينا عنوان الكتاب (الغريب المصنف) لنعلم أنه من وسائله في بلوغ غايته في أشعاره، فـ(هو مثقف ملئ النّفس بالتّجارب الكبيرة والأفكار الخطيرة والخواطر الشّاردة، فهمّه أن يجعل العبارة مسرحًا أو معبرًا لهذه التّجارب المتلاطمة والأفكار المتدافعة والخواطر المتوثّبة، فيكون لنقلهما صدى قوي مجلجل في القلب والفكر، ولا يبالي بعد ذلك)[١٨].

إذن فالمتنبّي ليس مثقّفًا اعتياديًا وإنّما هو مثقّف يحمل مشروعًا، هذا المشروع يجب أن يستعد له كلّ الاستعداد ويتسلّح له بكلّ سلاح من أجل بلوغ الغاية له.

ثمّ أنّ المتنبّي ربّى نفسه على التّمايز العنصري في نظريته السّياسية، فهو لا يتصوّر أنّ أمّةً عربيّةً تفلح بكون قادتها من العجم، فنراه يقول[١٩]:

وَإِنَّمَا النَّاسُ بالمُلُوْكِ وَمَـا تفلحُ عُرْبٌ مُلُوْكُهَا عَجَـمُ

وتارة نراه يبتعد عن النَّفَس العربي إلى النَّفَس الإسلامي الحر، فيقول[٢٠]:

سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نُفُوْسِهِمُ وَسَادَةُ المُسْلِمِيْنَ الأَعْبُدُ القَزَمُ

ومن هذا التّصوّر الأخير نرى أن جميع مدح المتنبّي لغير العرب هو مدح مدخول فيه إن لم نقل موجّه ويحتمل الضّدين[٢١]، وقد لاحظ ذلك قبلنا، في عصره وممدوحه عضد الدّولة حيث قال: (إن المتنبّي كان جيد شعره بالعرب. فأُخْبِر المتنبّي به، فقال: الشّعر على قدر البقاع)[٢٢]. ومن جاء بعد عضد الدّولة ممن شخّص ذلك بحسّه وذوقه.

لذا فالرّجل آلى على نفسه أن لا يصفي بمدح لغير من تأثرت به نفسه وأعجب به وبالسّمات التي رسمها شريطة أن يكون عربيًّا محضًا، وهذا يفسّر لنا إعراضه المتكرر عن مدح غير أمير أو وزير ليس إلا كونهم غير عرب أو عربًا ممن لم يجد فيهم كبير مروءة[٢٣]، ولم يمدح منهم . مضطرًّا . إلا كافورًا وابن العميد وعضد الدّولة، وحتى مدحه فاتكًا المجنون كان بغضًا بكافور، فهو لم يمدحه لوجه المدح خالصًا، ففي قوله له[٢٤]:

إنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشَّكْلِ تَمْنَعُنِي ظُهُوْرَ جَرْيٍ فَلِي فِيْهِنَّ تَصْهَالُ

جاء في شرحه: (يقول: إن لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور فإنّي أمدحك إلى أوان ذلك، كما أن الجواد إذا شُكل عن الحركة صهل شوقًا إليها)[٢٥]. ولم تكن الحال في مدح فاتك فقط، وإنّما حتّى في رثائه، (وكأن المتنبّي لم يستطع أن يكفّ نفسه عن التّعريض الخفيّ بكافور، ... وأولى هذه المراثي عينيته التي مطلعها[٢٦]:

الحُزْنُ يُقْلِقُ وَالتَّجْمُلُ يَرْدَعُ وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ

والثّانية ميميته التي أوّلها[٢٧]:

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلَمِ وَمَـا سُرَاهُ عَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمِ

وقد قيلت في الكوفة.

والثّالثة ميميته التي قالها في الكوفة وقد ذكره ببعض هداياه، وأوّلها[٢٨]:

يُذَكِّرُنِي فَاتِكًا حِلْـمُـهُ وَشَيءٌ مِنْ النَّدِّ فِيهِ اسْمُهُ

وليس في هذا الرّثاء كلّه ما يميّزه من رثاء المتنبّي إلا ما يشتمل عليه من هجاء كافور)[٢٩]. يقول أبو القاسم الأصفهاني: (ثم مضى فاتكٌ لسبيله فرثاه المتنبّي وذم كافورًا حيث يقول[٣٠]:

أَيَمُوْتُ مِثْلُ أَبِي شُجَاعٍ فَاتِكٍ وَيَعِيْشُ حَاسِدُهُ الخَصِيُّ الأَوْكَعُ

فاحتال بعده في الخلاص من كافور ...)[٣١].

أفنظنّ بعد ذلك كلّه أن المتنبّي ذهب غفلًا بشعره إلى كافور أم أنّه ذهب إليه وهو يحمل في جعبته الكثير من الالتواءات التي إذا ما جُوبه بمدحه كافور ردّ على مجابهيه بأنّه لم يقل فيه شيء وكلّ الذي قاله هو إلى الهجاء أقرب، بل هو هجاء محضّ مع كثير من التّعمّل؟

هذا ما يدعى ببلاغة المقموعين[٣٢] والتي التجأ إليها المتنبّي ليصل إلى غايته، والتي لم يصل إليها، إلّا لأن المتنبّي يرى نفسه مضطهدًا مغلوبًا على أمره، مهدّدًا وجوده، وهو فوق ممدوحيه عامّة من جهة، ولأن كافور بوجه الخصوص، كان سيء الظّن به، ولم يعطه إلّا أقل ما يستحقّه، من جهة أخرى.

. تمظهرات بلاغة المقموعين في شعر المتنبّي:

في البدء لا بدّ لنا من التّعريف ببلاغة المقموعين وأدواتها ليتسنّى لنا بعد ذلك الولوج إلى شعر المتنبّي الذي تمظهرت فيه هذه البلاغة ولا سيما شعره في كافور: وبلاغة المقموعين هي: (المنظومة التي يتمّ بها الإعلان عن موقفٍ ما، سمته المعارضة، يتبنّاه الآخر، ويعبّر عنه بشتّى الفنون التّعبيريّة (الأساليب والوسائل، أو الطّرائق الأخرى المتاحة لديه)، سواء أكانت هذه الوسائل والأساليب مكتوبةً أم مسموعةً، أم بالصّمت مرئيّةً أم بالحال والنّصْبة، إبانةً ووضوحًا أم تعميةً وغموضًا، فهي وسائل تكون غايتها الحفاظ على الآخر ومقدّراته، واستمراره، واثبات وجوده، وبيان رأيه وموقفه من كلّ ما يتهدده أو يصادره أو لا يعترف بوجوده. إذن هي ثباتُ ذات الآخر وتعريفٌ بهويته المسلوبة واتّصالٌ بقواعده الشّعبيّة)[٣٣].

والمتنبّي من هذه المنظومة، فهو المسلوب حقّه والطّامح إلى إعادة مجده، وهو الذي طوى عن نفسه مخافة الهلاك، ومع هذا وذاك صدرت منه نفحاتٌ ألمحت على ما تنطوي عليه سريرته[٣٤]. إلّا أنّها نفحات لا يصل إليها إلّا العلماء الأفذاذ[٣٥]. فقد (كانت ألفاظ شعره هذا تحمل كلّ ما يتكتّمه من الكراهة والازدراء والاستنكاف مما هو فيه، وكان ظاهرها يخدعُ سامعه عن حقيقة ما يكتمه. وقد استوقف هذا الشّعر، في حياة أبي الطيب نفسه، بعضَ سامعيه أو قارئيه، كابن جني وغيره)[٣٦].

ولأن سلاحه الشّعر فهو لم يدّخر جهدًا في استعماله في هذا المضمار أيّما استعمال، تسعفه في ذلك دراية كبيرة في لغات العرب ولهجاتها بل إنّه كان حجّة في اللغة يباري علماء اللغة والنّحو ويفحمهم فيها[٣٧]. ولذا اتّخذ لهذا الاستعمال فنونًا بلاغيّة معروفة لدى الجميع ولكن ليس لأحدٍ أن يبرع فيها كما برع هو.

وسنقوم بتقسيم أشعاره التي اشتملت على استعمالات لبلاغة المقموعين على التالي:

١. التّعريض[٣٨]:

احتل التّعريض مساحة واسعة من ديوان المتنبّي فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من التّعريض، والتّعريض عنده أخذ ألوانًا كثيرة، ومن هذه الألوان أنه عرّض بصفات كافور الخُلْقِية والخَلْقية وما تفرّع من هاتين الصّفتين من قبحٍ شكلٍ وخصيٍ ولون وبخل وجبن وخلف وغدر، وفيما يأتي سنورد بعض الأمثلة عن كلّ لون من هذه الألوان على سبيل المثال لا الحصر، وإلّا فإنّ غالب مدحه الموجه يشتمل على هذه الألوان:

. التّعريض بصفاته الخَلْقِية:

احتلّ التّعريض بصفاته الخَلقية مساحة واسعة من مديح المتنبّي لكافور، فلا تكاد تخلو قصيدة من هذا اللون من التّعريض، وقد استهدف الشّاعر، لون الممدوح بالشّكل الأساس، ثم شكله (جسده)، ثم خصيه؛ فنراه يقول في لونه وشكله(٣٩):

تَفْضَـحُ الشَّمْـسَ كُلَّمَا ذَرَّ تِ الشَّمْسُ بِشَمْسٍ مُنِيْرَةٍ سَوْدَاءِ

فهو هنا يعرّض بلونه الأسود، ويتلاعب به بإفادة معنى جديد لا يدرك حتّى في الخيال، إذ لا معنى متخيّل من شمس سوداء(٤٠)، إلّا التّهكم بالممدوح والتّعريض بلونه(٤١)، فقد (صرّح الشّراح بكونه هُزءًا وذلك أظهر من الشّمس. إلّا أن العجب من جسارة المتنبّي بذكره وغفلة كافور ومن عنده منه. وقال في إظهار المضمر بصرف الشّمس إلى القمر [في هجائه](٤٢):

وَأَسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بَدْرُ الدُّجَى)(٤٣).

لا بدّ من التّذكير أن المتنبّي ربط معاني شعره بمنظومته اللغوية واتساعها، هذا من جهة، ثمّ أنّ المتنبّي، وفي ذكر سابق لقوله في هذا البحث، قال (لو أردتُ أن أقلِب جميع ما مدحته به إلى الهجاء لوجدتُ إلى ذلك سبيلًا، ولولا خشيتي من طول هذا لذكرتُ كل ما يُعرضُ من هذا النّحو، ولكني أذكر بعضه لتستدلّ به على سائره)(٤٤). من جهة ثانية. لذا نحن نذهب إلى أن معاني المتنبّي مرتبطة بعضها ببعض بخيط أثيري واحد، تعضيدًا أو نقضًا. فلا ضير أن نستدعي بعض أبيات الهجاء في كافور أو غيره . لمن سبقه أو من جاء بعده . التي نرى فيها تدعيمًا لما نذهب إليه، وقد سبقنا إلى هذه السبيل حسام زاده الرّومي في رسالته (في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء) والتي أفدنا منها كثيرًا في هذا البحث.

ركّز المتنبّي على لون كافور كثيرًا وتفنن في التّعريض به، وهو يعلم بمدى تبرّم كافور من لونه وانزعاجه من ذكره أمامه، فنراه يقول في معرض مدحه معرّضًا به(٤٥):

إِنَّ فِي ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ لَضِيْـاءٌ يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَـاءِ

إِنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيِضَـاضُ النَّفْسِ خَيْرٌ مِنْ ابْيِضَاضِ القِبَاءِ

فهو يعرّض بلونه ويذكّره بطلائه بالزّيت الأصفر في سوق النّخاسة ليكون لونه ذهبيًا برّاقًا يعجب المشترين، يوم كان عاريًا لا يستره من ملبس إلا جلده. إذ يقول هاجيًا له في ما بعد مرتكزًا على قلب هذا المعنى(٤٦):

وَيُذْكِرُنِي تَخْيِيْطُ كَعْبِكَ شِقَّهُ وَمَشْيِكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيَا

فقد جاء في شرحه: (إذا جاء النّاس بالسّبي من الحبشة طلوهم بالزّيت. يرون في ذلك منفعة لهم)(٤٧).

ونراه تارة يقول(٤٨):

أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهُ الَّذِيْ كُنْتُ تَائِقًا إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتُ الَّذِيْ كُنْتُ رَاجِيَا

(قال المعري: كنتُ مُشتاقًا إلى وجهك راجيًا لهذا الوقت فقصدتك فافعلْ ما يليق بك، وهذا بالهُزء أقرب وأولى مع قبح كافور وسواد وجهه)(٤٩). ولا يخفي على تكنيته بـ(أبي المسك) عن سواده ما أراد إلّا أن يتلاعب (بكنيته بذكر شيءٍ وإرادة ضده هُزءًا، وجعل قرينته عدم التّناسب بين المصراعين، وله اصطلاح في تشبيه كافور بالسّحاب يكنّى به عن سواده، ولا يبعد أنّه قصد أيضًا هنها ما في المسك من نوع من الشّبه، وكيف لا يقصد به التّلاعب وقد قال في إظهار المضمر لبيان رائحته عدة أبيات منها قوله(٥٠):

لَا يَقْبِضُ الْمَوْتُ نَفْسًا مِنْ نُفُوْسِهِمِ إِلَّا وَفِـي يَـدِهِ مِنْ نِتْـهَا عُوْدُ)(٥١).

وانظر إليه كيف قال (لا يقبض الموت نفسًا) ولم يقل (لا يقبض الله نفسًا) . جل وعلا . على الرّغم من أن لفظ الجلالة لا يؤثر في الوزن العروضي وما استبداله إلا إمعانًا في نتانتهم (كافور ورهطه) وتنزيه لفظ الجلالة (الله) من قبض أرواحهم فاستبدلها بلفظة الموت، و(اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا)(٥٢).

إن الذي أسعف المتنبّي في الهزءِ من ممدوحه هو أنه كان كمن يدسّ السّم بالعسل، فقد كان يرسل إليه أبياته الموجهة التي تحتمل الضّدين من جهة، ومعرفته أن كافور لا علم له بغريب اللغة ودقائقها، من جهة أخرى، ولو كان الممدوح غير كافور لما كان للمتني مثل هذه المندوحة في هجوه تحت ستر من مدائحه، يقول ابن فورجة: (إنّما فعل ذلك في مدائح كافور استهزاءً به، لأنّه كان عبدًا أسود، لم يكن يفهم شيئًا. ولم يفهم ما ينشده)(٥٣). لذا تراه يقول فيه(٥٤):

وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُوْنَ لِيْ إِلَيْكَ فَلَمَّـا لُحْتَ لِيْ لَاحَ فَرْدُهُ

وقد علّق على هذا البيت حسام زاده بقوله: (البيت ضمّنه إعلام كافور أنّه لا يشبهه أحدٌ من الخلائق على وجه الأرض، يهزأُ بغرابة ذاته وصفاته، كما قال فيه[٥٥]:

قَضَــى اللهُ يا كافور أنَّـكَ أَوَّلٌ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يَرَى لَكَ ثَــانِ

وفي قوله: (لُحتَ) ما يُلمِّح إلى قوله[٥٦]:

* أَشَخْصًا لُحْتَ لِيْ أَمْ مَخَازِيَا *)[٥٧].

فهو يتندّر به وبشكله الذي لا يشبهه أحد فيه قبحًا ودمامة، ولو وقفنا على الشّعر الذي هجاه به لوقفنا على هيأته التي رسمها بهجوه، ولكن سنستدعي بعض تلك الأبيات لمقابلتها ومعارضتها بالأشعار التي مدحه بها، لنتبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود من مدحه. ولم يكن شكله وحده هو محط تندّر المتنبّي وهُزئه بكافور وإنّما كان لخصيه وما لازم هذا الخصي من أثار جانبيّة أقعدته عن الفحولة وجعلته أَمَةً من الإماء، يقول فيه في أوّل قصيدة مدحه بها[٥٨]:

تَرَفَّعَ عَنْ عُوْنِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا

وفي هذا البيت الذي نفى الشّاعر عن ممدوحه أن يفعل من المكارم ما فُعِلتْ قبله وإنّما يبادر إلى عمل العذارى من المكرمات، بمعنى أن كافور (أبو عذرتهن)، تعريض بفحولة كافور المخصي، فقد نقل حسام زاده الرّومي عن ابن جني قوله: (وهذا مما ينقلب إلى هجاء. الظّاهر أنّه اعتبره من جهة عدوله عن المعروف إلى المبتكر. والذي لاح لي أنه يعرّض بكونه خصيًّا لا يقدر على الافتضاض مع كمال حرصه، بقرينة ذكر العون والفَعْلات والعذاري. كلها من قبيل مراعاة النّظير فتدلّ على ما قلتُه....)[٥٩].

وللمتنبي أشعار كثيرة يعرّض فيها بخصي كافور وانحرافه لأنّه غلام، لا تحتاج كبير إنعام نظر في استجلائها، نترفّع عنها في هذا البحث لأنّها ممّا لا يذكر في ديوان علم، على الرّغم من أنّه ألبسها حُلي مفرداته ووشّى بها صدور قصائده حتّى أنّ الكثير من قارئي شعره يطالعونها وينشدونها من دون أن يلتفتوا إلى ما تطويه من معانٍ ألبسها الشّاعر ممدوحه، وقد أسهب حسام زاده الرّومي باستخراجها في رسالته التي قد أحلنا ونحيل إليها بين الفينة والأخرى على امتداد هذا البحث.

. التّعريض بصفاته الخُلُقِيّة:

إن كان كافور لا يدَ له بصفاته الخَلْقية التي هزأ بها المتنبّي وإنّما هي من خلق الله جل وعلا (شكله ولونه) أو من صنع البشر (خصيه) الذين اشتروه وخصوه وأفقدوه فحولته وكان مغلوبًا على أمره، فلا مندوحة له ومهرب من سوط المتنبّي في ما يتعلّق بأخلاقه وقد صار ملكًا يحكم مملكة وصفها المتنبّي بقوله[٦٠]:

يُدَبِّرُ المُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إلى عَدَنٍ إلى العِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّوْمِ فَالنُّوْبِ

وأخرى يقول له فيها(٦١):

وَلَكَ النَّاسُ والبِلَادُ وما يَسْـ رَحُ بَيْنَ الْغَبْرَاءِ وَالْخَضْرَاءِ

والحق يُقال: إنَّ مَن كان هذا ملكه لا يعذر في بخله ومماطلته لكلّ من طلب صلته، إلّا أنّ الرّجل كان بخيلًا وجبانًا وجاهلًا قدر ما هو عليه، على حد تعبير المتنبّي الذي تندّر به واستهزأ حد الإسراف، فكان شعره في هذا المضمار أظهر تعريضًا من سابقه، وفي جهله يقول(٦٢):

فِي جِسْمِ أَرْوَعَ صَافِي الْعَقْلِ يُضْحِكُهُ خَلَائِقُ النَّاسِ إِضْحَاكَ الأَعَاجِيْبِ

هل عَدَا المتنبّي إلا أن جعله فارغ العقل يضحكه أي شيء يصدر من النّاس ضحك المتعجّب من شيء عُجَاب، وقد (صرّح الشّراح بكونه هجوًا إلّا أنّهم لم يتعرّضوا لأطراف مقاصده المدمجة فيه. فمن ذلك ضمَّن وصوله إلى سرائره بقرينة جعلها في داخل جسم أروع. بعدما أخبره عن وصوله إلى ظاهره الذي قال فيه(٦٣):

* حتى وصلتُ إلى نفسٍ محجَّبَةٍ *

وأيضًا ضمّن قوله صافي العقل معنى (صافٍ) أي خالٍ عن العقل على قاعدة الحذف والإيصال. ثمَّ نوَّر ذلك بأنَّه تُضحكه أخلاق النّاس قاطبةً إضحاك الأعاجيب. لأنّ الذي يضحك ويتعجّب من خلاق النّاس قاطبةً لا يكون إلّا مجنونًا)(٦٤).

يمدح المتنبّي كافورًا في قصيدة أخرى فيسخر منه ومن جهله فيقول في مطلعها(٦٥):

عَدُوُّكَ مَذْمُـوْمٌ بِكُلِّ لِسَـانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ القَمَرَانِ

وَلِلهِ سِرٌّ فِـي عُلَاكَ وَإِنَّمَـا كَلَامُ العِدَا ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيَانِ

أَتَلْتَمِسُ الأَعْدَاءُ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيْلٍ أَوْ وُضُوْحَ بَيَـانِ

في القراءة الثّانية للبيت الأوّل يقول شارح ديوانه: (وبيت أبي الطّيب يمكن أن ينقل هجاءً. كأنّه قال: أنّه ساقط والسّاقط لا يعاديه إلّا مثله)(٦٦). وهذا المعنى منقول من ابن جنّي الذي يقول فيه: (هذا مدح كما تراه. وقد يمكن أن ينقل هجاءً، فكأنه قال: أنت ساقط رَذْل والسّاقط لا يضاهيه ويعاديه إلّا مثله. فإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكلّ لسان كما أنت كذلك، ولو عاداك الشّمس والقمر لسقطتا بمساجلتهما إيّاك. ألا تراه يقول بعده:

وَلِلهِ سِرٌّ فِـي عُلَاكَ وَإِنَّمَـا كَلَامُ العِدَا ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيَانِ

هذا ممّا يقلب هجاء عن قرب لا محالة. لأنّه لا يجوز أن يُصرف إلّا إلى أنّه أراد أن يغيظ به الأحرار)[٦٧]. وفي نحو من هذا نراه يعيد بعض كلامه في كتابه الفتح[٦٨].

يذهب الدكتور عبد الملك بومنجل في حديثه عن البيت الثّاني من هذه القصيدة (ولله سرّك ..) إلى (تعريض ذكي بغير المعنى الذي يدلّ عليه سياق المدح لكافور. لقد قصد المتنبّي، على رأي كثيرين، أن يتهكّم بكافور، وأن يشير من بعيد، بحيث لا يتفطّن إلى إشاراته، إلى أن اعتلاءه الحكم أمر غريب لا يوافقه عقل ولا منطق، لأنّه محروم من الفضائل التي بها يستحقّ الرّجال الوصول إلى ذلك المقام. في الأمر سر هو احتمال الكناية عن انحطاط مقام كافور)[٦٩].

لذا نراه يقول: (أَتَلْتَمِسُ الأَعْدَاءُ ...) فهو يتعجّب من طلب الدّليل وقد رآوه عيانا (بَعْدَ الذي رأتْ ...). إن كلّ الذي يقال عنه من تهويل وتخويف وعلو همّة وقدر ما هو إلّا (ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيَانِ).

للمتنبي معنًى آخر في جهل كافور وهو من الظّرافة والدّقة لا يكاد يبين إلّا لمن خَبَر شعر المتنبّي وعرف مقاصده البعيدة، يقول فيه[٧٠]:

وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَآكَ لِنَسْلِـهِ فَدَى ابْنَ أَخِيْ نَسْلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا

مَدًى بَلَّغَ الأُسْتَاذَ أَقْصَاهُ رَبُّـهُ وَنَفْسٌ لَـهُ لَـمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا

قلنا في ما سبق أن المتنبّي يعلم علم اليقين أن كافورًا ينزعج من لونه ومن ذكره أمامه، بل هو الذي أخبر ابن جنّي بذلك، إلّا أنّ المتنبّي يتعمّد إلى ذكر هذا الشّيء في كلّ مناسبة تلوح له، وقد أوغل في هذا المعنى هنا كثيرًا حتى وصل به إلى (حام) ابن نبي الله نوح عليه السلام، والذي ينحدر السّودان من نسله[٧١]، وفي هذه المبالغة التي تدّعي أن سامَ ابن النّبيّ نوح يفتدي هو نسله من البيضان جميعًا كافور لصنيعه، فانظر كيف يستهزئ به، فبعدما جعل (سامًا) يفديه بنفسه وبأبنائه، لِمَا وصل إليه من مدًى بلَّغَه رَبُّهُ إيّاه، وفي لفظة (ربُّه) ما تنصرف إلى الأخشيد سيّده الذي تكفله ثم انقلب عليه، وصار سيّدًا بعد ما كان عبدًا، وهذا المعنى البعيد، وما تنصرف إلى الله عز وجل، وفيها إشارة لقوله في قصيدة أخرى بعد هذه القصيدة زمانًا تناولناها آنفًا في قوله: (ولله سرٌّ في عُلاكَ ....)، ومع هذا الذي وصل إليه إلّا أنّ نفسه جاهلة تطمع بالمزيد وفي المعنى الأخير (تضليله وتجهيله ووصفه بالطّمع الزّائد والغفلة عن التّوجّه إلى أداء شكره والبيت من وادي قوله[٧٢]:

حَتَّى أَصَابَ مِنَ الدُّنْيَا نِهَايَتَهَا وَهَمُّهُ فِي ابْتِدَاءَاتٍ وَتَشْبِيْبِ

إلّا أنّه زاد في هذا ما يدلُّ على أنه غيرُ راضٍ عمَّن مَنَّ عليه بهذه النّعمة الجليلة التي هي السّلطنة. وليس وراءَها ما يوازيها من الأمور الدّنياوية [كذا]، وهو عبد مردود بفلسين)[٧٣]. وقد ألبس كل هذا ثوب الطّموح ليسوّغ إليه هجوه فيه.

وإذا ما غادرنا الحديث عن جهله إلى الحديث عن بخله الذي تهكّم به المتنبّي وهو يلبسه أثواب الكرم تارة، والمنعة في الحصول على رفده تارة ثانية إلّا لمن يتكلّف الصّعاب، وتارة أخرى يحرّضه على البخل ليعزَّ به المجد الذي لا يقوم إلّا بالمال، فانظر كيف يتلاعب به بمعاني أشعاره: إذ يقول في بخله وتضييقه عليه[٧٤]:

يَضِيْقُ عَلَى مَنْ رَاءَهُ العُذْرُ أَنْ يَرَى ضَعِيْفَ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيْلَ التَّكَرُّمِ

و(الهجاء هو أن يقول أن كافورًا قد ضيّق عليَّ، ولا نفع لي منه، ولا جاه لي عنده، وأنّه ينتفع بخدمتي، ولا انتفع به، ولو أنّه قال هذا لشخص. لخاف أن يتّصل بكافور، فيكون فيه هلاكه)[٧٥].

يفصح المتنبّي . على طريقته في الإفصاح . على أنّه مستهدف ومرصود ومن حوله السّعاة الذين نصَّبهم كافور عليه (أي الشّاعر)، وفي الدّيوان الكثير من الأشعار التي تشي بهذا المعني في أنه محبوس منها قوله[٧٦]:

فَأُمْسِكَ لَاْ يَطَالُ لَهُ فَيَرْعَـى وَلَاْ هُوَ فِي الْعَلِيْقِ وَلَاْ اللَّجَـامِ

وقوله[٧٧]:

وَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنْتَ إِلَّا مُهَاجِرًا لَـهُ كُلَّ يَـوْمٍ بَلْدَةٍ وَصِحَابُ

وَلَكِنَّـكَ الدُّنْيَـا إِلَـيَّ حَبِيْبَـةً فَمَـا عَنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ إِيَـابُ

إذن فهو مرصود ولا يستطيع أن يُنفّس عنه نفسه إلّا بهذه الصّورة من البلاغة التي دعوناها آنفًا ببلاغة المقموعين. وقوله[٧٨]:

لِمَنْ تُطْلَبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا سُرُوْرَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمِ

فهو يتهكّم به في أنّه متهالك على الدّنيا، حريص عليها، دون أن يستلذّ بها هو ومن يحبّ أو يسيء بها لمن يكره. قال ابن القطّاع الصّقلي: (هذا البيت يحتمل المدح والهجاء. فمعنى الهجاء أنّه يقول لكافور لمن تطلب الدّنيا إذا لم تضعها في مواضعها وتجعلها في من يستحقها)[٧٩]. فـ(فيه المواجهة بكمال الشحّ والإمساك والتّعرض لغفلته عما عليه العقلاء في طلب الدّنيا، وذلك * سرور محبٍّ أو إساءة مجرم * وأنه محروم عنهما)[٨٠].

وقد ألمح المتنبّي كثيرًا إلى التّعريض ببخل كافور على الرّغم من فطانته ومعرفته أن بعض معاني شعره قد وصلت إليه، إلّا أنّ ذلك كلّه لم يبعث على أريحيّة كافور في عطائه للمتنبي الذي لم يكن ينشد المال قطعًا، إذ نراه يقول[٨١]:

وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيْكَ فِطَانَةٌ سُكُوْتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ
وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الحُبِّ رِشْوَةً ضَعِيْفُ هَوًى يُبْغِي عَلَيْهِ ثَوَابُ
وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ أُذِلَّ عَوَاذِلِي عَلَى أَنَّ رَأْيِي فِي هَوَاكَ صَوَابُ
وَأُعْلِمُ قَوْمًا خَالَفُوْنِي فَشَرَّقُوْا وَغَرَّبْتُ أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوْا

وفي قوله(٨٢):

أَبَا الْمِسْكِ هَلْ فِي الْكَأْسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ فَإِنِّي أُغَنِّيْ مُنْذُ حِيْنٍ وَتَشْرَبُ
وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْ زَمَانِنَا وَنَفْسِيْ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ(٨٣)
إِذَا لَمْ تَنُطْ بِي ضَيْعَةً أَوْ وِلَايَةً فَجُوْدُكَ يَكْسُوْنِي وَشُغْلُكَ يُسْلَبُ

فعلى الرّغم من هذا كلّه إلّا أنّ المتنبّي قد ظفر منه بما قد ظفر من رفد وإكرام بحيلته ودهائه وأنّه كمن جازف مجازفة في استحصاله، فانظر إليه ماذا يقول(٨٤):

فَإِنْ نِلْتُ مَا أُمِّلْتُ مِنْكَ فَرُبَّمَا شَرِبْتُ بِمَا يَعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُهُ

فهو وصل إلى ما لم يصل إليه الطّير، كناية عن التّعجيز في الوصول إلى نائل كافور، يقول ابن جنّي في فسره بعد حديثه عن وجه المدح في هذا البيت في منعة كافور وحذره: (وهذا واضح وقد يمكن أن يقلب هذا البيت هجاءً: فيقال معناهُ: أنّه ليس يدلُّ وصولي إلى ما وصلتُ إليه من مالك على كرمك، لأنّي أنا بتلطّفي وخديعتي أمثالك من النّاس قد أصل إلى ما أطلبه من اللئيم الضّيق وأصل إلى استخراج الأشياء المعتاصة المتعذّرة فلا يدلّ ذلك على سهولتها بل على تلطّفي، فكذلك أنت، أنّما سخرتُ منك فوصلتُ إلى مالك، ولو حصلت على كرمك لاخفقتُ؛ وهذه طريقته في أكثر شعره، حتّى أنّه قال: (لو أردتُ أن أقلب جميع ما مدحته به إلى الهجاء لوجدت إلى ذلك سبيلًا، ولولا خشيتي من طول هذا لذكرتُ كل ما يُعرضُ من هذا النّحو، ولكنّي اذكر بعضه لتستدلّ به على سائره))(٨٥).

ولمّا لم يجد بدًّا من بخل كافور حبّب إليه بخله وطلب منه أن يتمسّك به بعدما قرنه بالمجد فلا مجد إلّا ما اقترن بالمال، ولا مال إلّا ما اقترن بالمجد، في جدلية تبدو أنّها قريبة المأخذ إلّا أنّه عرّض من ورائها إلى انعدام المجد المتأتّي لكافور من حسبه أو نسبه أو سيفه، وإنّما بانقلابه على ولي نعمته الأخشيد، وما استحوذ من خزائن سيّده، إذ نراه يقول(٨٦):

فَلَا يَنْحَلِلْ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ فَيَنَّحَلُ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
وَدَبِّرْهُ تَدْبِيْرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفُّهُ إِذَا حَارَبَ الأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ

فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُـهُ وَلَا مَـالَ فِـي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ

وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُوْرِ عَيْشِهِ وَمَرْكُوْبُـهُ رِجْـلَاهُ وَالثَّـوْبُ جِلْدُهُ

وقد (قال بعضهم: قد أمر المتنبّي كافورًا بالبخل حيث حرمه، وسلك في ذلك مسلك كُثَيِّر، فإنّ كثَيِّرًا يحكى عنه أنّه دخل على هشام بن عبد الملك، وكان هشام بخيلًا، فمدحه، فلم يثبه وجَبَهَهُ بما يكره، فقال يخاطبه[٨٧]:

إِذَا الْمَالُ لَمْ تُوْجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ صَنِيْعَةَ تَقْوَى، أَوْ خَلِيْلًا تُوَامِـقُهْ

مَنَعْتَ، وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِذْكَ الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقُـهْ

فقيل لكثَّير: ما حملك على أن تعلّم أمير المؤمنين البخل؟ فقال: إنّه منعني من رِفْدِه، وآلمني بردّه فأردت أن أحبِّب إليه المال فيمنع غيري كما منعني، فنتَّفق على ذمّه) [٨٨].

فالمتنبّي يعرف ما في نفس كافور، لذا قال ما يوافقها، كيف لا وهو القائل فيه[٨٩]:

أَنَّمَا تَنْجَحُ الْمَقَالَةُ فِي الْمَرْ ءِ إِذَا صَادَفَتْ هَوًى فِي الْفُؤَادِ

وإذا ما دلفنا إلى تعريض المتنبّي بجبنه وهو من الصّفات النّفسية التي استهدفها بالتّعريض به، فهو لا يجد بدًّا من أن يجعله جبانًا يلوذ بالرّمح الطّويل حذر العدو، إذ يقول[٩٠]:

وَأَسْمَرَ ذِي عِشْرِيْنَ تَرْضَاهُ وَارِدًا وَيَرْضَاكَ فِي إِيْرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيَا

فقد (ضمّن عنوان البيت ما يدلُّ على جبنه، لأنّ الرّمح الطّويل الخارج عن حد الاعتدال لا يستعمله إلّا من كان جبانًا، تمهيدًا لما لاحظه في البيت من أطراف المقاصد، لأنّه قيَّد رضا كلّ واحد من الآخر بقيد يشير به إلى معنى دقيق، وذلك كون المعنى أنّك تستعمل الرّمح الطّويل وترضاه واردًا لما فيه ما يصونك من إرهاب عدوك، وهو لا يرضاك لأنّك لست من رجاله، ويرضاك حين إيرادك به الخيل للسّقي، لأنّك حينئذٍ أتيت ما هو من شأنك وما يليق بك من سقي المواشي)[٩١].

ولأنّ للمتنبي منظومته اللغوية الخاصّة به ولأنّه يربط ما هو لاحق بما هو سابق، فإنّا نراه يؤكّد ما ذهبنا إليه وذهب إليه غيرنا من قبل، في تعريضه بجبن كافور وأنّه ليس من أهل القسيّ ولا الأسنة ولا ممّن حمل السّيف حتّى، انظر إليه كيف يعرّض به وبجبنه وهو يقصد إلى مدحه ظاهرًا ويهجوه هجاءً مرًّا باطنًا[٩٢]:

فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقَسِيَّ وَإِنَّمَا عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُوْنَكَ الثَّقَلَانِ

وَمَا لَكَ تُعْنَى بِالأَسِنَّةِ وَالْقَنَا وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بِغَيْرِ سِـنَانِ

وَلِمْ تَحْمِلِ السَّيْفَ الطَّوِيْلَ نَجَادُهُ وَأَنْـتَ غَنِـيٌّ عَنْـهُ بِالْحَدَثَـانِ

لو لم نعرف مسبقًا أنها قصيدة مدحية، لقلنا: إنّها من أجود قصائد الهجاء في أحدهم، لما تحمل من ازدراء الشّاعر وهزئه بمهجوّه الذي سلب عنه جميع صفات الرّجولة، وكأنّه يذكّرنا بقول الحطيئة في الزّبرقان بن بدر(٩٣):

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي

ولكن لو عرفنا أنّها من شعر المتنبّي وفي مدح كافور لقلنا هذا من خفي الهجاء في لباس من مديح، كيف لا وهو الذي رسم هذا التّصوّر في مخيلتنا كما أشرت سابقًا(٩٤).

انظر إلى خفيّ صنعة المتنبّي، وهو يخاطب كافور مدلًّا على أنّه ممّا لا يكلف نفسه باختيار القسيّ وقد تكفّلها عنه الثّقلان، إنسهم والجان، ولكن الحقيقة ما وراء ذلك فهو يقول له: إنّك لست من أهل القسيّ. ويبدو للقارئ . وقد أوهمه الشّاعر أنّ البيت جملة واحدة ومعنى واحد لا تكلّف نفسك أمر القسيّ والانشغال بها فقد تكفّلها الثّقلان، ولكنّ في الحقيقة، أنّ البيت يتضمّن معنيين اثنين، الأوّل انتهى عند (القِسِيّ)، وعطف المعنى الآخر على المعنى الأوّل وليس معنى أنّ الثّقلين يتكفّلان عنه رمي القسيّ كما أوهم الشّاعر كافورًا ومن جاء بعده، وإنّما هو معنى مستقلّ بنفسه، نستدلّ على ذلك أن المتنبّي يرى كافورًا نحسًا محضًا وقد ذكر ذلك كثيرًا في شعره من مثل قوله(٩٥):

فَإِنَّكَ مَا مَرَّ النُّحُوْسُ بِكَوْكَبٍ وَقَابَلْتُهُ إِلَّا وَوَجْهُكَ سَعْدُهُ

والتفت إلى لفظة (قَابَلْتُهُ) لتعرف أنّه يرى كافورًا نحسًا يقابل النّحس الذي يمرّ بذلك الكوكب، إلّا ويكون وجهُك سعدَ هذا النّحس لأنّه يبيّض صحيفته أمام أهل ذلك الكوكب لما يرون من عظيم نحس وجهك، وقد أوهم المتنبّي كافورًا وغيره بالضّمير (الهاء) المضاف إلى سعد بين النّحس والكوكب، فورّى به المعنى القريب لدى العامّة وهو الكوكب ليستقر في أفهام النّاس أنّ وجه كافور سعد ذلك الكوكب، ولكنّ المعنى الخفيّ الذي أراده المتنبّي أنّ وجه كافور هو سعد للنّحوس لأنّه أشدّ نحسًا منها، والقرينة (قابلْتُهُ). لذا فالبيت صدد البحث (فما لك تختار القسيّ ...) يشتمل على معنيين مستقلّين في هجاء كافور لا معنى واحد فقط.

فإذا ما عدنا إلى البيت الذي يليه (وما لك تعنى بالأسنة ...) فهو على نسج الأوّل إلّا أنّ الشّاعر عمد في الشّطر الثّاني إلى لفظة (جدّك) فورّى بها بين المعنى القريب (الحظّ) وبين المعنى البعيد الذي أراده وهو أبُ الأب، لذا من يقرأ البيت ببراءة يرى أن الشّاعر يقول لممدوحه: إن حظك هو من يطعن عداك بدلًا عنك، ولكنّ الحقيقة غير ما ذهبت إليه القراءة البريئة لشعر المتنبّي في مدح كافور، وإنما أراد أن يقول له جدّك: (من الرعاة الذين شأنهم سوق المواشي والذّود بعصًا ليس لها سنان)(٩٦).

لستُ أدري أين كان لبُّ كافور وفكره وهو يسمع إلى هذه الأبيات التي يزعم المتنبّي أنها مدحٌ له؟، وإلا كيف لمثل هذا البيت أن يمر عليه دون أن يستوقفه؟!.

(وَلِمْ تَحْمِلِ السَّيْفَ الطَّوِيْلَ نَجَادُهُ وَأَنْـتَ غَنِـيٌّ عَنْـهُ بِالْحَدَثَـانِ)

وقد نفى عنه حمل السّيف بإداة الجزم (لم) الدّاخلة على الفعل المضارع فجزمته عن حمله في الزّمن الماضي والحاضر معًا، ودعمه بالمستقبل بجملة (وأنت غني عنه بالحدثانِ) مستقبلًا، ليس اكتفاءً، فلا معنى لملك يستغني عن سيفه، حتى ولو كان نائمًا، ألم يقل أمرؤ القيس(٩٧):

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوالِ

فهذا الملك الضِّلِّيل لم يفارقه سيفه حتى وهو نائم، فكيف لملك مثل كافور غناء عنه؟. إذن ليس المعنى غناك به وإنّما أنت لستَ من أهله (ولم تحمل السّيف). نفى عنه ذلك لأنّه في نظره ليس من الرّجال، ولا حتّى من النساء ليحمل السّيف، أليس هو القائل فيه فيما بعد(٩٨):

مِنْ كُلِّ رَخْوٍ وِكَاءِ الْبَطْنِ مُنْفَتِقٍ لَا فِي الرِّجَالِ وَلَا النِّسْوَانِ مَعْدُوْدُ

وللمتنبي فنٌّ آخر في التّعريض بجبن كافور، هو أنّه يمدح أعداءه بأسلوب هجائي ثمّ يعرّض بكافور مقارنة بينه وبينهم، فنراه يقول بشبيب الذي خرج على كافور(٩٩):

بِرَغْمِ شَبِيْبٍ فَارِقَ السَّيْفَ كَفُّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَّاتِ يَصْطَحِبَانِ

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِـهِ رَفِيْقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِي

فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيْلِـهِ فَإِنَّ الْمَنَايَا غَايَـةُ الْحَيَوَانِ

وَمَا كَانَ إِلَّا النَّارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ يُثِيْرُ غُبَارًا فِي مَكَانِ دُخَـانِ

فَـنَالَ حَيَاةً يَشْتَهِيْهَا عَـدُوُّهُ وَمَوْتًا يُشَهِّي الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانِ

نَفَى وَقْعَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ بِرُمْحِهِ وَلَمْ يَخْشَ وَقْعَ النَّجْمِ وَالذِّبْرَانِ

وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِـهِ مُعَارُ جَنَـاحٍ مُحْسِنِ الطَّيَرَانِ

وَقَدْ قَتَلَ الأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قِرْنٍ فِـي أَذَلِّ مَكَانِ

أَتَتْهُ الْمَنَايَا فِي طَرِيْقٍ خَفِيَّةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَـهُ وَعَيَانِ

وَلَوْ سَلَكَتْ طُرْقَ السِّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُوْلِ يَمِيْنٍ وَاتِّسَاعِ جِنَانِ

تَقَصَّدَهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِحَابِهِ عَلَـى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانِ

وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشَ الْكَثِيْرَ اِلْتِفَافُـهُ عَلَـى غَيْرِ مَنْصُوْرٍ وَغَيْرِ مُعَانِ

ذكرت هذا النّص على ما فيه من طول لاشتماله على ثنائية ضديّة كبرى تتفرع عنها ثنائيّات أصغر منها من جهة، ولما فيه من بعض المعاني التي تشكّل مع معاني بعض الأبيات في هذه القصيدة ولكن ليس في هذا النّص وإنّما في نصّ استشهدنا به قبل هذا النّص في البحث على أنّه في القصيدة الأمّ يكون تاليًا لهذا النّص، أو غير هذه القصيدة، فكما قلنا: إن شعر المتنبّي المدحي في كافور يصدر من مصدر واحد.

الثّنائية الضديّة الكبرى هي المقارنة بين شجاعة شبيب وجبن كافور، فالقصيدة كما نعلم قيلت بعد النّصر المتحقّق على شبيب الخارجي الذي مات مقتولًا بقرص رحًى ألقته امرأة عليه من فوق سور دمشق(١٠٠). فتفرّق عنه عسكره ولم يظفر به جند كافور. ولكن هذه الضديّة الكبرى تنفرع عنها ثنائيّات فرعية تتناول شجاعة شبيب معرّضةً بجبن عدوه الذي يشتهي حياته، فمنذ البيت الأوّل في النّص: إنّ كفَّه فارق السّيف رغمًا عن صاحبه، تجد قبالتها قوله في كافور (ولم تحمل السّيف ..). مشيدًا بشجاعته وإسرافه في قتل أعدائه حتى كأن رقاب النّاس ضجّت وتكلّمت وشكت لهذا السّيف الذي أرهقها وهُمَا ممّا لا يجتمعان لعداوة القيسيّة واليمنيّة المتجذّرة، إلّا أنّ هذين لم يتأثرا بهذه العداوة التاريخيّة وظلّا يحصدان رقاب النّاس، متلازمان لم يفترقا، فيما يقول لكافور: (لم تحمل السّيف ...).

في البيت الثّالث (فإنْ يكُ إنسانًا ...) أسًى على الفقيد ولا شماتة بالموت فكل حيوان سبيله الفناء في هذه الحياة ولكن المدار كيف سيكون فناؤه؟. وفي هذا إيحاء لكافور أنْ لا تشمت بموته وتفرح به. فهو ممّا لا يفرح بموته لأنّه كان النّار في الميدان إلا أنّه كان يخلّف غبارًا وليس دخانًا. وبهذا الرّصيد من الشّجاعة والمقاتلة عاش حياةً يشتهيها عدوّه الجبان الخائر، ومَنْ عدوه الذي خرج لقتاله، وفرح بموته غير كافور؟. على أنّ ليس الطّرافة في الشّطر الأوّل من البيت قدر الطّرافة في الشّطر الثّاني منه، بأنّها بعد هذه الأهوال مات ميتةً لا يشتهيها هو ولم يخض كل هذه الحروب ليموت هذه الميتة، وإنّما هذه الميتة دون سفك دماء وأهوال جلاد يشتهيها الجبان، الذي يحبّ أن يموت حتف أنفه، وهو لا يشعر بهولها ولم يواجهها حتّى وإنّما ميتة غيلةً وكأنّ شيئًا لم يكن. ومن يشتهي هذه الميتة في رأي المتنبّي غير كافور؟.

هذا الشّجاع نفى أن تصله الرّماح برمحه، ولم يخشى الثّريا ولا الدّبران وشؤمهما عليه، فهو لم يعبأ بكل هذه التّخرّصات ما دام بيده رمحه، ولكنّه لم يدر إنّ الموت جاءه من فوقه، وفي هذه العبارة التفاتة لطيفة للشّاعر الذي أكّد أن شبيب نفى مجيء الموت عنه من جهاته الأربع، ولكنه لم ينفه من فوقه، فدهمه من هناك، فقد (أتته المنايا في طريق خفيّةٍ). ولو كانت أتته من طريق معلومة لما وصلت إليه لأنّه قتل الأقران وصرع الأبطال، إلّا أنّك قتلته

بأضعف قرن (امرأة) بأذلّ مكان (فوق قنطرة) وليس في الميدان، (حكى أبو إبراهيم محمد بن أحمد العلوي: أنّه كان بحضرة كافور، وأبو الطّيب ينشده هذه القصيدة. فلما قال أبو الطّيب: (بأضعف قرن في أذلّ مكان) قال كافور وهو يتكلّم بكلام الخدم: لا والله إلا بأشدّ قِرنٍ في أعز مكان. فروى النّاس بأضعف قرن وجعلوا مكان أذلّ: أعز)[١٠١].

ثم يقول: (ولو سلكتْ طرق السّلاح لردّها) وهنا ثنائيّة ضديّة طرفها الأوّل هنا، وطرفها الثّاني فيما سبق من حديثنا عن جبن كافور الذي يحمل (وَأَسْمَرَ ذِي عِشْرِيْنَ تَرْضَاهُ وَارِدًا ...)[١٠٢]. بين من يصل السّلاح ويردّه بـ(بطول يمين واتساع جنان)، وبين من يردّه . إن اثبتنا له حمله للنّزال أوّلًا . بأسمر طوله عشرين ذراعًا[١٠٣].

٢. التّورية[١٠٤]:

المتنبّي ابن بيئته الأدبيّة إنْ لم نقل سيّدها بلا منازع، وهو مالك رقاب الفنون البلاغيّة بأسرها، يتصرّف بها كيف يشاء وهي طوع يديه لا تكاد تعصيه لو طلب فنًّا من فنونها، فكيف بالتّورية التي ما انفكّ ملازمتها حياةً وسلوكًا واسمًا، وقد أحوجته الظّروف أن يورّي عن بعض معانيه ومواقفه التي أراد أن يبلّغها بشعره، ولا سيّما وهو يمدح كافور الذي لم يقتنع به يومًا إلّا أنّه لا بدّ من مدحه ومداجاته، وهو الذي يقول[١٠٥]:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَـهُ مَـا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

ومثل هذا قاله في كافور معرض البحث[١٠٦]:

تَمَنَّيْتَهَا لَمَّا تَمَنَّيْتَ أَنْ تَـرَى صَدِيْقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا

لذا سينطلق من هذا التّنظير الذي اختطّه له ولغيره من مداجاة عدوّه ومصادقته، طريقًا مهيعًا ليُوسِعَ به ممدوحيه الأوْلى بالهجاء شعرًا موجّهًا تراه عامّةُ القوم فتحسبه مدحًا ويراه من ألمّ بتلك الحيثيّات فيتجلّى له هجاءً مقذعًا.

قال المتنبّي في كافور في معرض مدحه، وسبقه[١٠٧]:

فِدًى لِأَبِـي الْمِسْكِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا سَوَابِـقُ خَـيْلٍ يَـهْتَدِيْنَ بِأَدْهَمِ

فالمعنى القريب للبيت: فداك يا كافور الكرام من النّاس فهم مثل سوابق الخيل يهتدون بك وأنت المقدم عليهم. ولكنّ الحقيقة ليست هذه، وإنْ أردتَ المعنى الذي أراده المتنبّي ضع في يمينك (أبا المسك) والمتنبّي يقصد به اللون الأسود لا الرّائحة، (الكرام) ليس الملوك ولا الرّجال فالخيل كرام، بدلالة (سوابق خيل) ثم بماذا يهتدين. (بأدهم) الفرس الأسود، فالأدهم هو الأخضر شديد الخضرة المائل إلى السّواد، قال تعالى[١٠٨]: (مُدْهَامَّتَانِ). وماذا بعد كلّ هذا التّفكيك لجزئيّات البيت؟.

نقول: إن المتنبّي زحزح ممدوحه عن عالم الإنسان ووضعه في عالم الحيوان، لأنّه وضعه أمام سوابق الخيل وليس أمام (الكرام) التي ظاهرها النّاس، فسوابق الخيل التي تهتدي به وليس الكرام (على فرض أنّهم النّاس) وإلّا قال (يهتدون بأدهم)، وقد أفصح عن هذا المعنى في قوله في القصيدة هذه نفسها(١٠٩):

لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّاكِبُ الْخَيْلَ كُلُّهُ وَإِنْ كَانَ بِالنِّيْرَانِ غَيْرَ مُوَسَّمِ

ولم يرد بذكر الحيوان هنا الإنسان نسبة إلى الحياة، وإنما أراد الحيوان غير العاقل، بقرينة الشّطر الثّاني، أن هذا الحيوان لم يوسم بالنيران كغيره، وسيأتي ذكر الحيوان مرةً أخرى توريّة عن كافورٍ، فنراه يقول(١١٠):

أَيَا أَسَدًا فِي جِسْمِهِ رُوْحُ ضَيْغَمٍ وَكَمْ أُسُدٍ أَرْوَاحُهُنَّ كِلَابُ

يقول حسام زاده الرّومي: (البيت ضمّنه إلحاق كافور بالكلاب، لأنّه أوّلًا جعله أسدًا، ثم جعل روحه الذي في جسمه روح أسد أيضًا، ثم قال: (وكم أُسُد أرواحهن كلابُ)، فكأنّه يقول: وأنت منهم. والشّراح يتكلّفون في الحمل على المدح لاستبعادهم منه ذلك، وهو ليس ممّن يظنّون أنّه لا يتجاسر على مثله، ولا يرجعون إلى ما التزمه في إظهار المضمر من ذكره ضدّ كلّ وصف وصفه به في المديح. وأما تعريضه هنا بالكلب، فقد صرّح به في مواضع منها قوله(١١١):

مَا كُنْتُ أَحْسِبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ يُسِيْءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مَحْمُوْدُ

ومنها قوله(١١٢):

* فعرفوا بك أن الكلب فوقهم *)(١١٣).

فالمعنى القريب: إنّه أسد في روح ضيغم (أسد) مثله، ولا يشبه غيره من الأسود التي أرواحها أرواح كلاب، ولكن المعنى البعيد الذي أراده هو إن الأُسْدَ واحدةٌ في الطّباع. فلا فرق بين روحك وروحهن، وقد أظهره في غير موضع كما أشار إلى ذلك حسام زاده. وهو بعد ذلك لا يرى في كافور أنّه من الأُسْد في شيءٍ، وقد جعله مرّةً ليثًا توريّةً عن العنكبوت، في قوله(١١٤):

جَرَى الْخُلْفُ إِلَّا فِيْكَ أَنَّكَ وَاحِدٌ وَأَنَّكَ لَيْثٌ وَالمُلُوْكُ ذِئَـابُ

وَأَنَّكَ إِنْ قُوْبِسْتَ صَحَّفَ قَارِئٌ ذِئَابًا وَلَمْ يُخْطِئْ فقال: ذُبَابُ

وأعلم أيّها القارئ الكريم أنّه لم يأتِ بالبيت الثّاني (وَأَنَّكَ إِنْ قُوْبِسْتَ ...). إلّا لنلتفت إلى توريته لمّا جرّنا جرًّا إلى عالم الحشرات، ولو لم يذكر هذا البيت لانعدمت القرينة في قولنا: إنّ الليث ضرب من العناكب وسلمنا أنّه أسدٌ.

ينتقل شاعرنا ليورّي بمعنى آخر، لطالما عرّض به بكافور، وهو خصيه وأبنته، حتى أنه عدّه من الإماء اللواتي يُفجر بهنّ، وقد ترفعنا عن ذكر كثير من تعريضه، لفحشه فيه، وسنذكر هنا ما ورّى عنه ما سمح به البحث، فنراه يقول في إحدى مدائحه(١١٥):

إِذَا تَرَكَ الإِنْسَانُ أَهْلًا وَرَاءَهُ وَيَمَّمَ كَافُوْرًا فَمَا يَتَغَرَّبُ

ورّى الشّاعر بكلمتين اثنتين (أهلًا) و(يتغرّب) والمعنى القريب لهما هو، (أهل الإنسان) ذووه وأسرته، (الغربة عن الوطن والأهل) على التّوالي، فإنّه سيرى في الممدوح أهلًا بدلًا عن أهله وقرابته، ووطنًا عن وطنه، وهذا معنًى ظاهرٌ في البيت، إلا أن الشّاعر لم يرد ذلك كلّه، وإنّما قصد بـ (أهلًا) الزوجة حصرًا أو الجارية التي يُتسرَّى بها ما دام منقطع عن أهله، وبـ (يتغرّب) وهو التّغريب بالنّكاح، وهو في اللغة نكاح امرأة غريبة(١١٦). دليلنا على ذلك أن الشّاعر في القصيدة نفسها شكى فقده أهله وغربته عنهم، في قوله(١١٧):

يُضَاحِكُ فِي ذَا الْعِيْدِ كُلٌّ حَبِيْبَهُ حِذَائِي وَأَبْكِي مَنْ أُحِبُّ وَأَنْدُبُ

أَحُنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ وَأَيْنَ مِنَ الْمُشْتَاقِ عَنْقَاءُ مَغْرِبُ

وعن التّغريب قوله توريّة عن جهة الغرب (المعنى القريب) والنّكاح (نكاح صفقته مع كافور)، (المعنى البعيد)(١١٨):

وَأُعْلِمُ قَوْمًا خَالَفُوْنِي فَشَرَّقُـوْا وَغَرَّبْتُ، أَنِّي قَدْ ظَفِرْتُ وَخَابُوْا

هل اتّضح لك أنّ كافورًا ليس أهله الذين قصدهم، وليس ممن سرّى عنه غربته كونه حبيبًا أو من أهله ورد الغربة عنه؟ وقد وصف الشّاعر النّاس من حوله يضاحك بعضهم بعضًا، وهو يبكي ويندب حبّه وحيدًا، فأين ذهب عنه كافور؟. ولم هو يحنّ إلى أهله إنْ كان كافور قام مقام أهله؟.

٣. التّلاعب باللغة ونحوها(١١٩):

شرّاح دواوينه كلّهم وعلماء اللغة ممن وقفوا على شعر المتنبّي درسًا، أو شرحًا، أو بحثًا فيما اعتاص من معانيه وتعقّد عليهم منها، شهدوا له بقوة عارضته في اللغة وأنّه إمام فيها لا يبارى ولا يجارى، ولطالما شهد مجلس سيف الدّولة الحمداني، مناقشات محتدمة بين المتنبّي وحاسديه من الشّعراء والأدباء واللغويين مجتمعين ضدّه، وقد كان يجلدهم بلغته وقوة حجّته، حتّى كان يضطرّهم أنْ يخرجوا عن وقارهم، وما حادثته مع خالويه الذي شجّه بمفتاح من حديد كان في كمّه في محضر سيف الدّولة إلّا خير(١٢٠) مثال على ما نقول وندّعي.

ولكن ماذا نفع هذا العلم بالعربية في مدحه كافورًا، نقول: لم يدّخر المتنبّي سلاحًا من أسلحته إلّا وصوبه نحو كافور ومن هذه الأسلحة براعته في اللغة، فنراه يقول(١٢١):

وَكَيْفَ أَكْفُرُ يَا كَافُوْرُ نِعْمَتَهَـا وَقَدْ بَلَغْنَكَ بِي يا خَيْرَ مَطْلُوْبِـي

البيت من قصيدة يمدح بها كافورًا ومطلعها(١٢٢):

مَنِ الْجَآذِرُ فِي زِيِّ الأَعَارِيْـبِ حُمْرُ الْحُلَي وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيْبِ

وهي قصيدة من بدايتها تعلن انتصار المتنبّي للبادية على المدينة وللإعرابيات على بنات الحاضرة، لأنّه يرى(١٢٣):

حُسْنُ الْحَضَارَةِ مَجْلُوْبٌ بِتَطْرِيْةٍ وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوْبِ

أَيْنَ الْمَعِيْزُ مِنَ الْآرَامِ نَاظِـرَةً وَغَيْرَ نَاظِرَةٍ فِي الْحُسْنِ وَالطِّيْبِ

سقنا هذه المقدمة مع الشّعر، لنقرّ ابتداءً إنّ الرّجل في قصيدته هذه يحنّ إلى البادية وحياته وإلى سيف الدّولة، إلى كلّ ما هو إعرابي، فقد بَشُمَ من هذه الحاضرة التي أثقلته، مع ثقل ملكها.

وقوله: (وكيف أكفر يا كافور ...) فيه تعريض بتسمية الممدوح على ما فيه من كفران، وإلّا كان لديه مندوحة لو أراد مدحه على الحقيقة أن يناديه بغير اسمه الصريح، إلّا أنّه قصد إلى كفره مستغلًا مادة اسمه (ك، ف، ر)، ليبلغ بها غايته، قرينة ذلك أنّ المتنبّي إذا أحسّ الإيغال بتعقيد معناه أو أحسّ بقرب مأخذه بادر إلى بيت آخر يجلّي الأوّل أو يعمّي الثّاني، ومثالنا على الأوّل لفظة (الليث) والتي جلّاها ببيت ثانٍ ذكر فيه تصحيف الذّئاب إلى ذباب، ودليلنا على الثّاني، هو البيت الذي أعقبه البيت الذي تحدّث فيه عن كفر كافور، فعمد إلى فكرته ببيت أعمى قصده الأساس فقال بعده مباشرة لئلا يُكشف أمره(١٢٤):

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَانِي بِتَسْمِيَةٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيْبِ

ولو كان كافور لا يحتاج إلى وصف وتلقيب كما يدّعي المتنبّي لما اجتهد في وصفه وتلقيبه وتكنيته بما شاء من وصف وتلقيب وتكنية، ولكنّه أحسّ بقرب المآخذ فالتمس العذر لفكرته فأراد تعميتها عليه وعلى غيره.

وإن كان المتنبّي في المثال السّابق تلاعب بمادة اسم كافور ليهجوه بها، فإنّه اِلتجأ هذه المرة إلى تمويه عودة الضّمير أساسًا في هجاء كافور من حيث يمدحه، فقوله(١٢٥):

أَنْتَ الْحَبِيْبُ وَلَكِنِّـيْ أَعُوْذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُوْنَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوْبِ

فالضّمير في (أعوذ به) إمّا يعود على ظاهر قريب وهو (الحبيب/ كافور)، فيكون معنى ذلك أعوذ بك من أنْ أحبّك وأنت لا تحبني، ونقول: إنّ المتنبّي استعمل أسلوب الالتفات في عودة الضّمير فقال: (به)، أو يعود على باطن مخفيّ،

هو (الله) جل وعلا، بمعنى أعوذ بالله أنْ أكون محبًّا لك وحبّك هذا يجعلني غير محبوب عند الله وعند النّاس. يقوي رأينا هو أنّه لو قصد كافورًا لقال له: (أنت الحبيب ولكني أعوذ بك) وقطع نزاع القوم، ولكنّه المتنبّي.

وللمتنبي حرف آخر يعمّي به تهكّمه وسخريته من كافور، وذلك في قوله[١٢٦]:

وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدْعَةً لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُوْ أَنْ أَرَاكَ فَأَطْرَبُ

فظاهر البيت أن المتنبّي كان يرجو لقاء كافور فيطرب فرحًا للقائه ويسعد برجائه ونواله، فحرفُ اللام هنا الداخل على (قد) غير المعادلة وعمّى المعنى، وكأنّه أظهر حسرته للقائه وطربه لرجائه، ولكن الحقيقة دون ذلك، وهو أنه كافور وما به من المضحكات التي كان المتنبّي يرجو رويتها فيطرب ويضحك منه، يقول ابن جنّي: (لمّا قرأتُ عليه هذا البيت، قلتُ له: أجعلت الرّجلَ أبا زنَّة؟، فضحك لذلك، وعطف: أطرب على: أرجو، أي كنتُ أرجو، فأطربُ على الرّجاء، وهذا البيت، وإن كان ظاهره مديحًا، فإنّه إلى الهُزْءِ أقرب)[١٢٧]. وقد أخفى هُزْءَهُ بحرف اللام ولو قال: (وقد كنتُ ...)[١٢٨] لكشف أمره. لأنّه قد قال له في الشّطر الأوّل من البيت: (وما طربي لمّا رأيتُك بدعةً ...).

. الخاتمة:

الحمد لله على ما أنعم وأكرم، وما فتح لنا من نوافذ علمه. وصلى وسلّم على خير خلقه، محمد وعلى آله وسلّم تسليمًا كثيرا.

خلص البحث إلى النتائج التالية:

إن المتنبّي لم يكن صافيًا بمدحه، إلّا لمن ارتضته نفسه وواءم تصوراته، ووجده عنوانًا لطموحاته، مع التّأكيد على العنصر العربي، هو العنصر المفضّل عنده، والذي تمثّل بشخص سيف الدّولة الحمداني والذي قدّمه إنموذجًا يحتذى، لذا ظلّت نفحات هذا الإعجاب وزفرات ألم الفراق تتخلّل قصائده، في مدح كافور، بل إنّ بعض تلك الأبيات التي وجهها لمدح كافور ظاهرًا تزخر بمدح سيف الدّولة وتبدي الأسى عليه وعلى مفارقته، وتقدح بممدوحه كافور.

أظهر البحث قصديّة المتنبّي في أنْ يكون مدحه مشوبًا بالهجاء، بل أنّ بعض أبياته كانت هجاءً محضًا. زد على ذلك أنّ المتنبّي نفسه صرح (شعرًا ونثرًا) في أكثر من مناسبة أنّه لم يكن يمدح كافورًا بل كان يهجوه.

لم يدّخر المتنبّي فنًّا من الفنون البلاغيّة التي تختصّ بالتّعمية والإيهام والتّلميح دون التّصريح إلا واعتمدها في هجائه كافورًا. ومن هذه الفنون (التّعريض والكناية والتّورية).

عمد المتنبّي إلى التّعقيد اللغوي والنّحوي (التّقديم والتّأخير، وعودة الضّمير) في الوصول إلى غايته بهجاء كافور دون ان يشعر الأخير به. فضلًا عن تلاعبه بحروف مادة اسمه ليهجوه بها.

. الهوامش:

١ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** تصنيف أبي يحيى بن علي التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ: دراسة وتحقيق: د. خلف رشيد نعمان، دار الشؤون الثقافية، بغداد . العراق، ٢٠٠٠، الطبعة الأولى: ٤/ ٥١٧.

٢ . ينظر: **شروح المتنبّي:** ١. المستدرك على ابن جنّي فيما شرحه من شعر المتنبّي لأبي فضل العروضي، ٢. التّجني على ابن جنّي لابن فورجة البروجردي، ٣. شرح مشكل من شعر المتنبّي لابن القطّاع الصّقلي: تحقيق د. محسن غياض عجيل: دار الشؤون الثقافية، بغداد العراق، ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى: ١٣٢ . ١٣٣.

٣ . ينظر: **مماطلة المعنى في شعر المتنبّي** (أنماطها ومداها): د. عبد الملك بومنجل: عالم الكتب الحديث، أربد . الأردن، ٢٠١٠، الطبعة الاولى: ٩.

٤ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ١/ ١٨٦ . ١٨٨.

٥ . **م. ن:** ٥/ مج ١/ ٤٧٥.

٦ . **الفسر** (أو شرح ديوان أبي الطيب المتنبّي): لابن جني، تحقيق وتعليق د. صفاء خلوصي، دار الشؤون الثقافية، بغداد . العراق، ٢٠٠١، الطبعة الأولى: ٣/ ١٤٦.

٧ . **المتنبّي يسترد أباه** (دراسة في نسب المتنبّي): عبد الغني الملاح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠، الطبعة الثانية: ٤٧.

٨ . (إنَّه قيل للمتنبي: معنى بيتك أخذته من قول الطائي، فأجاب المتنبّي الشعر جادة وربَّما وقع حافرٌ على حافر. وكان المتنبّي يحفظ ديواني الطائيين ويستصحبهما في أسفاره ويجحدهما، فلما قُتِلَ تُوُزِّعَتْ دفاتره فوقع ديوان البحتري إلى بعض من درس عليَّ وذكر أنه رأى خط المتنبّي وتصحيحه فيه، ..). **الواضح في مشكلات شعر المتنبّي:** لأبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني: تحقيق سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع . تونس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة . القاهرة، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م، الطبعة الأولى: ١٠. ولا نستبعد أن يكون من بين هذه الدفاتر كتاب (**الملاحن**) لابن دريد.

٩ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ١/ ٤٣٨.

١٠ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من الميدح إلى الهجاء:** تأليف: عبد الرحمن ابن حسام الدين المعروف بحسام زاده الرومي، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت . لبنان، ١٩٩٣م، الطبعة الثانية: ١٨٠ . ١٨١. وينظر لأمثلة أخرى: المصدر نفسه : ١٤٢، و١٥١، و١٧٥.

١١ . (وقال عمرو بن بحر: (الليث ضرب من العناكب) قال: وليس شيءٌ من الدواب مثله في الحذق والختل وصاب الوثبة، والتسديد، وسرعة الخطف، والمداراة، لا الكلب، ولا عناق الأرض، ولا الفهد، ولا شيءٌ من ذوات الأربع، وإذا عاين الذباب ساقطًا لطأً بالأرض، وسكن جوارحه، ثم جمع نفسه وأخّر الوثب إلى وقت الغِرَّة، وترى منه شيئًا لم أره في فهدٍ وإن كان موصوفًا بالختل للصيد. وعن الليث، قال: الليث: العنكبوت، وقيل: الذي يأخذ الذباب وهو أصغر من العنكبوت). **تاج العروس من جواهر القاموس:** للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، طبعة الكويت:٥/ ٣٥٢ . ٣٥٣.

١٢ . المعارضة عند ابن وهب الكاتب هي التورية تارة، وفيها يقول: (والمعارضة في الكلام المقابلة بين الكلامين المتساويين في اللفظ. وأصله من معارضة السلعة بالسلعة في القيمة والمبايعة. وإنما تستعمل المعارضة في التقية وفي مخاطبة من خيف شرّه فيُرضى بظاهر القول، ويتخلص في معناه من الكذب الصراح. ...)، واللغز تارة أخرى، إذ يقول: (والفائدة من استعمال ذلك [يقصد اللغز] في الدين المعارضة التي ذكرناها، وقلنا: إنَّ للإنسان استعمالها عند التقية حتى يخرج بهذا الكلام عن الكذب باشتراك الأسم). **البرهان في وجوه البيان:** تحقيق د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٣٨٧ هـ . ١٩٦٧م، الطبعة الأولى: ١١٨ . ١١٩. و١٤٨. وينظر في تسمية ابن وهب التورية معارضةً: **النقد الأدبي (٣)**، قراءة في التراث النقدي: د. جابر عصفور، دار الكتاب المصري . القاهرة، دار الكتاب اللبناني . بيروت، ٢٠٠٩م، الطبعة الأولى: ٢٧١.

١٣ . **الملاحن:** تأليف الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، صححه وعلق عليه وذيله بذيل أبو إسحاق إبراهيم أطيفش الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م، الطبعة الأولى: ١٥.

١٤ . **البرهان في وجوه البيان:** ١٤٨ . ١٤٩.

١٥ . كانت وفاة ابن دريد الأزدي سنة ٣٢١ للهجرة، ينظر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الأربلي (المتوفى: ٦٨١ هـ)، تحقيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، الطبعة الأولى: ٤ / ٣٢٨. ووفاة ابن وهب الكاتب في العقد الرابع من القرن الرابع الهجري. ينظر: **البرهان في وجوه البيان،** (مقدمة المحققين): ٤٠.

١٦ . **المتنبّي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا** (كتاب المتنبّي): أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، مكتبة الخانجي بمصر، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م، الطبعة الأولى: ٧٦.

١٧ . **الواضح في مشكلات شعر المتنبّي:** ٢٧.

١٨ . **مماطلة المعنى في شعر المتنبّي** (أنماطها ومداها): ٤٢.

١٩ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٥/ مج ١/ ١١٦.

٢٠ . **م. ن:** ٥/ مج ١/ ٢٤٠.

٢١ . ينظر: **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء**: ٣٦. وينظر: **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩، الطبعة السابعة: ٣٠٨. وينظر: **المتنبّي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا** (كتاب المتنبّي): ١٩٥ . ١٩٦. وينظر: **النقد الثقافي** (قراءة في الأنساق الثقافية العربية): د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠١، الطبعة الثانية: ١٦٩. وينظر: **الحياة الأدبية في العصر العباسي**: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار العالم العربي، القاهرة . مصر، ٢٠١١م . ١٤٣٢هـ، الطبعة الأولى: ٢٣٤.

٢٢ . **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**: تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ . ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م: ٢/ ٣٦٢.

٢٣ . نعني به المهلبي وزير عضد الدولة: ينظر: مقدمة ديوان المتنبّي المسمّى (**الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي**): ١/ ٢٨ (مقدمة المحقق).

٢٤ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي**: ٤/ ٤١١.

٢٥ . **م. ن**: ج. ن/ ص. ن.

٢٦ . **م. ن**: ٣/ ٣٢٧.

٢٧ . **م. ن**: ٥/ ٢٤٨.

٢٨ . **م. ن**: ٥/ ٢٤٥.

٢٩ . **مع المتنبّي**: طه حسين: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة . جمهورية مصر العربية، ٢٠١٨م: ٢٧٦ . ٢٧٧.

٣٠ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي**: ٣/ ٣٣٩.

٣١ . **الواضح في مشكلات شعر المتنبّي**: ١٢ . ١٣.

٣٢ . ينظر: **النقد الأدبي (٣)**، قراءة في التراث النقدي: ٢٤٥. يقول د. جابر عصفور في الحديث عن هذه البلاغة: (هذه البلاغة المقموعة أنتجتها المجموعات الهامشية التي لعبت دور المعارضة، والتي كانت على خلاف مع سلطة (الدولة) القائمة، ابتداءً من الدولة الأموية، وانتهاءً بادول المتأخرة التي صحبت انهيار الحضارة العربية...).

٣٣. **بلاغة المقموعين من الإجراء إلى التنظير حتى القرن السادس الهجري**: د. محمد ياسر الغرابي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان . الأردن، ٢٠٢٠م، الطبعة الأولى: ١٧٣.

٣٤ . ينظر: **المتنبّي يسترد أباه** (دراسة في نسب المتنبّي): ١٩.

٣٥ . **شروح شعر المتنبّي** (شرح المشكل من شعر المتنبّي لابن القطّاع الصقلي): ٢٠٢.

٣٦ . **المتنبّي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا** (المتنبّي): ٧٣.

٣٧ . ينظر: **شروح شعر المتنبّي** (شرح المشكل من شعر المتنبّي لابن القطّاع الصقلي): ٢٠٠

٣٨ . (عرّض لفلان وبه: إذا قال فيه قولًا وهو يعيبه، ويقال: عرّض تعريضًا: إذا لم يبيّن، والتعريض خلاف التصريح). **معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها** (عربي . عربي): د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان . ناشرون، بيروت . لبنان، ٢٠٠٧م: ٣٧٩.

٣٩ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ١/ ١٦٤. قال شارح الديوان : (وكان يقال إنه هزأ به في هذا البيت).

٤٠ . ينظر تدعيمًا لما نذهب إليه رأي محمد محمود شاكر في هذا البيت وما بعده: **المتنبّي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا** (المتنبّي): ٣٦٤ . ٣٦٥.

٤١ . ينظر: **الواضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** (أي ابن جني في شرح هذا البيت): ٩٤.

٤٢ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ١/ ١٨٦.

٤٣ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء:** ٦٠.

٤٤ . **الفسر** (أو شرح ديوان أبي الطيب المتنبّي) د. خلوصي: ٣/ ١٤٦.

٤٥ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ١/ ١٦٤. يقول شارح الديوان: (يُسهّل عليه أمر لونه ويحسِّنه [ثم يقول] قال المتنبّي: كان موته أن يذكر له إنسانٌ السواد).

٤٦ . **م. ن:** ٥/ ٤٧٥.

٤٧ . **م. ن:** ج. ن/ ص. ن.

٤٨ . **م. ن:** ٥/ ٤٦٢.

٤٩ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء:** ٤٦. وينظر: **شرح ديوان أبي الطيب المتنبّي لأبي العلاء المعري (٣٦٣ . ٤٤٩) معجز أحمد:** تحقيق ودراسة: الدكتور عبد المجيد دياب، دار المعارف بمصر، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢م، الطبعة الثانية: ٤/ ٢٦.

٥٠ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٢/ ٣٠٩

٥١ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء:** ٤٨.

٥٢ . سورة **الزمر:** الآية: ٤٢.

٥٣ . **شروح المتنبّي** (التجني على ابن جني): ٨٨.

٥٤ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٢/ ٢٩١.

٥٥ . **م. ن:** ٥/ ٣٨٧.

٥٦ . **م. ن:** ٥/ ٤٧٤. والبيت في الديوان: أَمَيْنًا وَإِخْلَافًا وَغَدْرًا وَخِسَّةً وَجُبْنًا؟ أَشَخْصًا لُحْتَ لِيْ أَمْ مَخَازِيَا

٥٧ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء:** ٩٦.

٥٨ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٥/ ٤٦١.

٥٩ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء:** ٤٥.

٦٠ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ١/ ٣٨٧.

٦١ . **م. ن:** ١/ ١٦٢.

٦٢ . **م. ن:** ١/ ٣٩٧.

٦٣ . **م. ن:** ١/ ٣٩٧ والبيت في الديوان:

حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى نَفْسٍ مُحَبَّبَةٍ تَلْقَى النُّفُوْسَ بِفَضْلٍ غَيْرِ مَحْجُوْبِ

٦٤ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء:** ٧٩ . ٨٠.

٦٥ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٥/ ٣٨٠ . ٣٨١.

٦٦ . **م. ن:** ٥/ ٣٨٠.

٦٧ . **الفَسْرُ** (شرح ابن جنّي الكبير على ديوان المتنبّي: صنعة أبي الفتح عثمان بم جنّي النحوي المتوفَّى سنة (٣٩٢ هـ)، حققه وقدّم له: الدكتور رضا رجب، دار الينابيع. طباعة. نشر. توزيع، دمشق . سوريا، ٢٠٠٤، الطبعة الأولى: ٣/ ٧١٧.

٦٨ . **الفتح الوهبي على مشكلات المتنبّي:** تأليف أبي الفتح عثمان بن جنّي المتوفَّى سنة ٣٩٢هـ، تحقيق: الدكتور محسن غياض، دار الشؤون الثقافية، بغداد . العراق، ١٩٩٠: ١٧٧.

٦٩ . **مماطلة المعنى في شعر المتنبّي** (أنماطها ومداها): ١٥٠.

٧٠ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٥/ ٤٧٢.

٧١ . ينظر: **م. ن:** ص. ن.

٧٢ . **م. ن:** ١/ ٣٨٧.

٧٣ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء:** ٥٤. وليس بالضرورة إننا عندما ننقل كلام حسام زاده الرومي إننا نتفق معه جملة وتفصيلا قدر ما يفيدنا في تدعيم ما نذهب إليه، أما فحشه بكافور فهذه مسألة تخصه هو وحده لا نتفق معه فيها.

٧٤ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٥/ ٢١٨.

٧٥ . **شروح المتنبّي:** (شرح المشكل من شعر المتنبّي): ٢٠٣ . ٢٠٤.

٧٦ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٥/ ٢٣٧.

٧٧ . **م. ن:** ١/ ٤٢٩.

٧٨ . **م. ن:** ٥/ ٢٢٥.

٧٩ . **شروح المتنبّي:** (شرح المشكل من شعر المتنبّي): ١٧٢

٨٠ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي المديح إلى الهجاء:** ١٢٣.

٨١ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ١/ ٤٢٧ . ٤٢٨.

٨٢ . **م. ن:** ١/ ٤٠٩.

٨٣ . ورد في مقدمة شارح الديوان: (يقول أبو الفتح: (وقت قراءة هذا البيت عليه، يقول [المتنبّي]: كنت إذا خلوت أنشد هذا البيت:

وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْكَ عَسْجَدًا وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفِّي تَطْلُبُ)

تأمل معي [الكلام للمحقق]: حين يختلي المتنبّي بنفسه ينشد هذا البيت بما يوافق مزاجه وهواه وطموحه وأمانيه. فيكشف ما يخبئه ويخفيه، فيقول: (ونفسي على مقدار كفّي تطلبُ). فما مقدار هذا الذي تطلبه نفسه من كفيه؟ وهي بلا شك غير النفس التي تطلب العسجد من كف كافور[هي لم تطلب من كافور وإنما كافور هو من منح] ، إنها النفس المتطلعة إلى المجد والسؤدد، بمقدار ما تطلبه وما تهيئ لصاحبها من طموح ليست له حدود). **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ١/ ٢٧. وينظر في هذا المعنى قول رأي د. شوقي ضيف في كتابه: **فصول في الشعر ونقده:** دار المعارف، مصر، ١٩٨٨، الطبعة الثالثة: ١٠٠.

٨٤ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٢/ ٢٩٢.

٨٥ . **الفسر** (أو شرح ديوان أبي الطيب المتنبّي) (خلوصي): ٣/ ١٤٦. وينظر: **الحياة الأدبية في العصر العباسي:** ٢٤٩. وينظر: **مماطلة المعنى في شعر المتنبّي** (أنماطها . ومداها): ١٢٧.

٨٦ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٢/ ٢٨٣.

٨٧ . **شرح ديوان كُثَيِّر عَزَّة:** شرح وتحقيق: الدكتور رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت . لبنان، ١٩٩٦، الطبعة الأولى: ١٢٩. والبيت الأول في الديوان يختلف قليلًا عما ورد في الرواية التي ذكرها محمود محمد شاكر في متنبيه، وهو في الديوان على هذه الحال:

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوْجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ صَنِيْعَةُ قُرْبَى، أَوْ صَدِيْقٌ تُوَامِقُهْ

٨٨ . **المتنبّي رسالة في الطريق إلى ثقافتنا** (المتنبّي): ٦٧٦.

٨٩ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٢/ ٢٩٨.

٩٠ . **م. ن:** ٥/ ٤٧٠.

٩١ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء:** ٥٢.

٩٢ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٥/ ٣٨٧.

٩٣ . **ديوان الحطيئة** (من رواية ابن حبيب عن ابن الإعرابي وأبي عمرو الشيباني): طبعة دار صادر، المكتبة الثقافية، بيروت . لبنان: ١٠٨.

٩٤ . يظر: **البحث:** ٥. (موضوعة: بين يدي البحث).

٩٥ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٢/ ٢٩٥.

٩٦ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء:** ١٦٤.

٩٧ . **شرح ديوان امرئ القيس:** لأبي جعفر النحّاس (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق عمر الفجاوي، وزارة الثقافة، عمان . الأردن، ٢٠٠٢م: ٥٦.

٩٨ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٢/ ٣١٠.

٩٩ . **م. ن:** ٥/ ٣٨١ . ٣٨٥.

١٠٠ . ينظر: **م. ن:** ٥/ ٣٨٤.

١٠١ . **م. ن:** ٣٨٤.

١٠٢ . **م. ن:** ٥/ ٤٧٠.

١٠٣ . **م. ن:** ج. ن/ ص. ن.

١٠٤ . (ورِّت الخبر: جعلته ورائي وسترته، ووريت عنه سترته وأظهرت غيره، والتورية الستر. والتورية تسمّى الإيهام والتوجيه والتخييل والمغالطة). **معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها** (عربي . عربي): ٤٣٣.

١٠٥ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتني:** ٢/ ٢٣٣.

١٠٦ . **م. ن:** ٥/ ٤٥٠.

١٠٧ . **م. ن:** ٥/ ٢١٧.

١٠٨ . سورة **الرحمن:** الآية: ٦٤. وينظر في تفسيرها: **التفسير الكبير** (مفاتيح الغيب): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب ري (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ١٤٢٠ هـ، الطبعة الثالثة: ١٥/ ١١١.

١٠٩ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٥/ ٢٢٥.

١١٠ . **م. ن:** ١/ ٤٣٣.

١١١ . **م. ن:** ٢/ ٣١٢.

١١٢ . **م. ن:** ٥/ ٢٣٩. وصدر البيت: جَازَ الأُلَى مَلَكَتْ كَفَّاكَ قَدْرَهُمُ

١١٣ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء:** ١٧٦ . ١٧٧.

١١٤ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ٤٣٨/١.

١١٥ . **م. ن:** ١/ ٤٠٨.

١١٦ . ينظر: **تاج العروس في جواهر القاموس:** ٣/ ٤٧٤.

١١٧ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ١/ ٤١٠

١١٨ . **م. ن:** ١/ ٤٣٨.

١١٩ . نقصد به هو تلاعب المتنبّي بالتركيب النحوي للجملة وإيهام المتلقي بعوده الضمائر ونحوها، وفي التقديم والتأخير أو بتعقيد المتقصّد حتى لا يفطن إلى قصده إلا بعد حين، وقد رصدنا مجموعة من الأمثلة على هذا النحو لا بأس فيها.

١٢٠ . ينظر: **أعيان الشيعة:** الإمام السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه، حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت . لبنان، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م،: ٢/ ٥٢٣.

١٢١ . **الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبّي:** ١/ ٣٩٧.

١٢٢ . **م. ن:** ١/ ٣٧٦.

١٢٣ . **م. ن:** ١/ ٣٨٢.

١٢٤ . **م. ن:** ١/٣٩٧

١٢٥ . **م.ن:** ١/ ٣٩٧.

١٢٦ . **م. ن:** ١/ ٤١٦.

١٢٧ . **الفسر** (شرح ابن جنّي الكبير على ديوان المتنبّي)**:** ١/ ٥٨٣. و(أبا زنّة) هو القرد.

١٢٨ . **رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء:** ١٥٣.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

. أعيان الشيعة: الإمام السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه، حسن الأمين، دار التّعارف للمطبوعات، بيروت . لبنان، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.

. البرهان في وجوه البيان: تحقيق د. أحمد مطلوب، ود. خديجة الحديثي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٣٨٧ هـ . ١٩٦٧م، الطّبعة الأولى.

. بلاغة المقموعين من الإجراء إلى التّنظير حتى القرن السّادس الهجري: د. محمّد ياسر الغرابي، دار المناهج للنّشر والتّوزيع، عمّان . الأردن، ٢٠٢٠م، الطّبعة الأولى.

. تاج العروس من جواهر القاموس: للسّيد محمّد مرتضى الحسيني الزّبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، طبعة الكويت.

. التّفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**:** أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التّيمي الرّازي الملقّب بفخر الدّين الرّازي خطيب ري (ت ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التّراث العربي، بيروت . لبنان، ١٤٢٠ هـ، الطّبعة الثّالثة.

. الحياة الأدبية في العصر العباسي: د. محمّد عبد المنعم خفاجي، دار العالم العربي، القاهرة . مصر، ٢٠١١م . ١٤٣٢هـ، الطّبعة الأولى.

. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠ . ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م.

. ديوان الحطيئة (من رواية ابن حبيب عن ابن الإعرابي وأبي عمرو الشّيباني): طبعة دار صادر، المكتبة الثّقافية، بيروت . لبنان.

. رسالة في قلب كافوريات المتنبّي من المديح إلى الهجاء: تأليف عبد الرّحمن **ابن** حسام الدّين المعروف بحسام زاده الرّومي: تحقيق الدّكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيوت . لبنان، ١٩٩٣، الطّبعة الثّانية.

. شرح ديوان أبي الطّيب المتنبّي لأبي العلاء المعري (٣٦٣ . ٤٤٩)، **معجز أحمد:** تحقيق ودراسة: الدّكتور عبد المجيد دياب، دار المعارف بمصر، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٢م، الطّبعة الثّانية

. شرح ديوان امرئ القيس: لأبي جعفر النّحّاس (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق عمر الفجاوي، وزارة الثّقافة، عمّان . الأردن، ٢٠٠٢م.

. شرح ديوان كُثَيِّر عَزَّة: شرح وتحقيق: الدّكتور رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت . لبنان، ١٩٩٦، الطّبعة الأولى.

. شروح المتنبّي: ١. المستدرك على ابن جنّي فيما شرحه من شعر المتنبّي لأبي فضل العروضي، ٢. التّجنّي على ابن جنّي لابن فورجة البروجردي، ٣. شرح المشكل من شعر المتنبّي لابن القطّاع الصّقلي: تحقيق د. محسن غياض عجيل: دار الشؤون الثّقافية، بغداد العراق، ٢٠٠٠م، الطّبعة الأولى.

. الفتح الوهبي على مشكلات المتنبّي: تأليف أبي الفتح عثمان بن جنّي المتوفّى سنة ٣٩٢هـ، تحقيق: الدّكتور محسن غياض، دار الشّؤون الثّقافية، بغداد . العراق، ١٩٩٠.

. الفسر (أو شرح ديوان أبي الطّيب المتنبّي): لابن جنّي، تحقيق وتعليق د. صفاء خلّوصي، دار الشّؤون الثّقافية، بغداد . العراق، ٢٠٠١، الطّبعة الأولى.

. الفَسْرُ (شرح ابن جنّي الكبير على ديوان المتنبّي: صنعة أبي الفتح عثمان بم جنّي النّحوي المتوفّى سنة (٣٩٢ هـ)، حقّقه وقدّم له: الدّكتور رضا رجب، دار الينابيع. طباعة. نشر. توزيع، دمشق . سوريا، ٢٠٠٤، الطّبعة الأولى.

. فصول في الشّعر ونقده: الدّكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٨٨، الطّبعة الثّالثة.

. الفن ومذاهبه في الشّعر العربي: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩، الطبعة السابعة.

. المتنبّي رسالة في الطّريق إلى ثقافتنا (كتاب المتنبّي): أبو فهر محمود محمّد شاكر، دار المدني بجدّة، مكتبة الخانجي بمصر، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م، الطّبعة الأولى.

. المتنبّي يسترد أباه (دراسة في نسب المتنبّي): عبد الغني الملّاح، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، ١٩٨٠، الطّبعة الثّانية.

. مع المتنبّي: طه حسين: مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، القاهرة . جمهورية مصر العربية، ٢٠١٨م.

. معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها (عربي . عربي): د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان . ناشرون، بيروت . لبنان، ٢٠٠٧م.

. الملاحن: تأليف الإمام أبي بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي، صحّحه وعلّق عليه وذيّله بذيل أبو إسحاق إبراهيم أطيفش الجزائري، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م، الطّبعة الأولى.

. مماطلة المعنى في شعر المتنبّي (أنماطها ومداها): د. عبد الملك بومنجل: عالم الكتب الحديث، أربد . الأردن، ٢٠١٠، الطّبعة الأولى.

. الموضّح في شرح شعر أبي الطّيب المتنبّي: تصنيف أبي يحيى بن علي التّبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ: دراسة وتحقيق: د. خلف رشيد نعمان، دار الشّؤون الثّقافية، بغداد . العراق، ٢٠٠٠، الطّبعة الأولى.

. **النّقد الأدبي (٣)**، قراءة في التّراث النّقدي: د. جابر عصفور، دار الكتاب المصري . القاهرة، دار الكتاب اللبناني . بيروت، ٢٠٠٩م، الطّبعة الأولى.

. النّقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثّقافية العربية): د. عبد الله الغذّامي، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ٢٠٠١، الطّبعة الثّانية.

. الواضح في مشكلات شعر المتنبّي: لأبي القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني: تحقيق سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمّد الطّاهر ابن عاشور، دار سحنون للنّشر والتّوزيع . تونس، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة . القاهرة، ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م، الطّبعة الأولى.

. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان: أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الأربلي (المتوفى: ٦٨١ هـ)، تحقيق أحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م، الطّبعة الأولى.